

## يوم العمل

بقلم: عمر الكتراري

أخيرا اتّحد العالم وتوافق.

أخيرا وجدت شعوب العالم بأسرها نقطة التقاء.

فلا انسحبت دولة ولا قاطع مندوب ولا مارس ممثل حقّ النقض  
في وجه العمل.

انتفى الاستنكار والتّديد والشجب وغير ذلك ممّا قد  
تجود به قواميس اللغة من مفردات في هذا المعنى تجاه العمل.

اتفق الجميع على إجلال العمل والاعتراف به عنصرا في منظومة  
القيم بغضّ النظر عن الاعتبارات السياسية والعرقية والثقافية وما  
يُميّزها من تنوّع واختلاف إلى حدّ التناقض...

ليس العمل نقطة التقاء بين الدّول و الشعوب فقط بل  
كذلك بين حقول معرفية أيضا تتنازعه وتبناه وتحتويه. فهو  
مفهوم طبيّ وعلميّ واقتصادي وأخلاقيّ ودينيّ.

من الناحية الطبية يستخدم العمل في العلاج النفسي فيما يسمّى  
"العلاج بواسطة العمل" (Ergothérapie)

وكثيرا ما نرى المختصين في هذا المجال يشيرون على  
مرضاهم أو القائمين على شؤونهم بضرورة تكليفهم بأعمال  
في تناول إمكانياتهم الذهنية والبدنية حتى يخرجوا من دائرة  
الظلمة التي تلفهم من جراء المرض.

وكذلك الشأن بالنسبة إلى الأسوياء فالرياضة عمل  
عضلي بدونها تتراكم الدهون والشحوم في الجسم فتتساقب إليه  
الأسقام المترتبة على ذلك بمعاولها ساعية إلى هذه و إسقاطه.  
كما يفيد الطبّ بأن العضلة التي لا تعمل تضمر ثم تموت.

عموما في هذا الباب يعتبر العمل هو الحياة فلا حياة بدون عمل  
في جسم الإنسان. كلّ الأعضاء محكومة بالعمل والاشتغال.  
فماذا لو توقف القلب عن النبض والجهاز العصبيّ عن القيام  
بوظائفه والمعدة عن الهضم والدّم عن الدوران والكلية عن  
التصفية والخلايا عن طرح الفضلات؟ ألا يساوي ذلك الموت  
الحينيّ؟

في الميدان العلمي يكفي أن نذكر بأعمال الفيزيائي "جول" حول الحرارة والطاقة وما خرج به على الإنسانية من أطروحات ما زالت تدرس إلى اليوم في المعاهد والمؤسسات العلمية وتجد تطبيقاتها في مجالات عدّة.

في الباب الاقتصادي أيّ تنمية تتمّ بدون عمل؟ أيّ خلق للثروة وما ينجرّ عنها من ازدهار ورفاه و تطوّر نحو الأفضل بدون عمل؟

الرّكود الاقتصاديّ شبح مفرّغ يقضّ مضاجع السّاسة و المختصّين. الاقتصاد حركة و الحركة عمل والعمل إنتاج والإنتاج حياة.

العمل كذاك من الأخلاق. فهل يجوز لك أخلاقيا ألاّ تعمل و أنت قادر على ذلك وتتقاسم مع الكادح ثمرة جهده وإنتاج عرق جبينه؟

انظر قول الشاعر

سافر تجدّ عوضاً عمّن تفارقه

وانصبّ فإنّ لذيذ العيش في التّصبّ

أمّا من الناحية الدّنية فقد اتفقت كلّ الشرائع السماوية على تمجيد العمل و التنويه بقيمته ودوره الأساسي في المجتمع. في شريعتنا الإسلامية عُدّ العمل عبادة وفضّل العامل على القاعد ولو كان متعبداً. فكم هي كثيرة الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الحاثّة عن العمل الذي يُنعت في كتاب الله بالصّالح؟ والعمل المطلوب صالح أو لا يكون. فهو مفهوم إيجابيّ بالضرورة.

#### العمل الصّالح رباعيّ الجزء :

جزاء نفسي إذ تعقبه حالة من الرضا والراحة النفسية لدى الفاعل عكس الانقياض الذي يحصل عند إتيان جرم مثلاً. وجزاء اجتماعي فما أجمل أن يستحسن المجتمع ما يقوم به الفرد من عمل صالح و يثني عليه و يثمنه ويشيد به. وجزاء نقديّ فما الأجر إلّا جزاء على العمل وهل يؤجّر غير العمل الصالح تأجيراً شرعيّاً؟

وجزاء ربّانيّ هو الثواب المؤجّل الذي وعد الله به عباده. إنّ إرادة الحياة التي ذكرها شاعرنا الكبير أبو القاسم الشّابي رهينة العمل منه تنبع و به تتحقق فالعيش عمل والسّكون والخمول موت وفناء.

## قراءة سييسولوجية في شخصيات

سليمان بن يوسف الروائية

(1)

### بقلم: د. عادل بلحجلة

كانت كتابات سليمان بن يوسف، الكاتب الصحفي، ذات طابع صحافي، علاوة على مجموعاته الشعرية، ولكنه في حيز عامين (2007/2008) يصدر ثلاث روايات ذات طابع سيري.

وإن أكثر الحالات البحثية في علم الاجتماع الأدبي التي اختارت تحليل المضمون هدفاً، كانت الرواية هي الأقرب، إلا إذا كان الشعر عامياً فهل يمكننا أن نصل من خلال روايات سليمان بن يوسف إلى إثبات أن العمل الروائي "وهو" بحث متدهور عن قيم أصيلة في عالم متدهور" (1) وخاصة في وجهه السيري؟.

#### 1 سامح / زهير / سمير:

ثلاثتهم يبدؤون بحرف همس (س) و (ز)، وهما حرفا لطف وتودد، تماماً كسليمان، وثلاثتهم يكونون مثلثاً، لعله، "سليمان بن يوسف" يريد أن يكون زهيراً، من رمس رهير بن أبي سليمان، أديبا مثقفاً، يمشي على

جمر التناقضات ويجرؤ على قول الحق في قالب جمالي، يريد أن يكون  
زهرا صغيرا، إلى جانب الدفلى، ورغم القمامات .  
يردي أن يكون زهير بن أبي سلمى مادحا للنبي، بانت سعاد فقلبي  
اليوم متبول..

يقولها بلغته الحديثة، نادما مستغفرا كما فعل زهير الأول، ممنى النفس  
بأجمل الأمنيات، زيارة النبي:

حالما أعلن حلمي

حالما أحنو علي

عاشقا أرنو لصحبي

أهمس همس النجي

أسطر روجي قصيدا

أعلن صمتي علي

ليتني من قلبي أحيا

أمتط، أمضي إلي

أرسل شوقي سلاما

(1) غولدمان (لوسيان)، علم اجتماع الرواية، دار الحداثة بيروت، 1977، ص 82.

تعتليها مقلتي

أرفع من قلبي شوقا

من أعماق خافقي

يعلن حبا شفيفا



للرسول العربي  
أحلم أحياء "سنة"  
أقتدي.. مثل "علي"  
ألتقي نورك بدرا  
يهدي سيري الدنيوي  
من فؤادي أحياء فيها  
قبسة النور البهي  
إنني أرجو بمن  
يفتديه كل حي  
أحياء لأحمد صدقا  
كل ما في.. وفي  
هذا حلمي يا صحابي  
حبه يسكن في  
هذي روعي تفتديه  
هذا قلبي في يدي  
هل إراني في الجنان  
بالحبيب ألتقي؟  
سعد قلبي إن رآه  
عند الحوض الكوثري  
هاك روعي فاتخذني



خادما أو بعض شيء

أسأل الله القدير

يسدل العفو علي

ويناديني الضياء

أقتفي الخطو السوي

أرتقي درب الفلاح

ذاك ما سواه لي

ثم يهديني لقاء

بالشفيع.. سرمدي

هكذا حلمي: إراني

راجيا.. ألقى النبي

(عبير الدفلى ص158)

أما "السمير" فهو الوجه الصحافي والإذاعي في صاحبنا، مسامرا

الآخرين "على أجنحة الأمل" أو على صفحات الجرائد، ومصارعا

وحيدي القرن بأنفه وصبره وصدقه (1)

### 1 ما الذي ساهم في صنع "الزهير" أو "السمير"

كان "الزهير" الصغير "يهرول إلى مكتبة المهيري يستطلع فيها

القصص الجديدة.. عبيد العصا.. عتر قيسون.. يتحول إلى مكتبة

بوكسري المجاورة للسوق البلدي، تطالعه مجلات وجرائد بسطت على



منضدة خارج المكتبة ، حافين بها رجال يقرّون ما تيسر من عناوين دون أن يجروا ، أحدهم على اقتناء نسخة "أهواك، ص 16)

ثم يمر إلى غير الشكلي: "أمام الجامع شاهد كتباً مبسوطة على الأرض، للبيع وتجمع حولها بعض المتطلعين للكتب الدينية، قرأ من عناوينها: "الأذكار"، "الكبائر"، "رياض الصالحين" "الأربعون النووية" "عذراء"

1 تضمين لرواية "أمتاز عليك بأنفي" ، أو سمير والكركدن "

2 تكاد لا تمر صفحة من رواياته دون تضمين نص ديني.

جاكرتا"، "ليالي تركستان" (1) "حوار مع صديقي الملحد" (2) وفي أسلوبه الروائي الكثير من أسلوب نجيب الكيلاني، وفي احتجاجة الكثير من احتجاجة مصطفى محمود، أما تنافسه مع القرآن والحديث النبوي فتحويل آثار النووي لرياضة وأربعينه.

ولا يعدم تأثير هاشم الرفاعي إذ عارض رثاءه نفسه أمام أبيه "أبتاه ماذا قد يخط بناني، والحبل والجلاد ينتظراني، برثاء أبيه "أبتاه ماذا قد يخط بناني وقد مضت بعد الرحيل ثمان" (أمتاز عليك بأنفي، ص 98) مما صنع "السمير" متابعته الطفولية واليافعية والشبابية للبرامج التلفزيونية التونسية "سرح قليلا مستذكرا مشاهد الحلقة الأخيرة من مسلسل "إني راحلة" الذي بثته التلفزة في الليلة الماضية، وشغل الناس وأطرد النعاس من عيونهم، كما فعلت قبله حلقات "السمان والخريف" و"حتى نلتقى" .. "أهواك، ص 31)

استمع إلى الأغاني التي تنبت في كل مكان بحلق الوادي، من الراديو، بالمتزل، من نوافذ المنازل، من الحوانيت والأسواق التي يمر أمامها "سمع في طريق العودة أغنية تونسية للمطربة صليحة مترنمة بـ "ساق نجعك ساق" أحس أنها ترافقه راسمة أبعادا من ملحمتة الموشحة " (أهواك ، ص 35) "كانت فيروز تشدو بـ "سنرجع يوما إلى حيننا" (أهواك ص 36) "ينساب صوت سيد مكاوي منبعثا من مذياع أحد المقاهي معلنا "الأرض بتتكلم عربي" (أهواك، ص 43) "قاطعته ثان ..إنها.... بنت العكري (... ) (عينيه حرقو حصيدة وثلاثين من الخلق ماتوا) (م س ص 43) "لينضاف أكثر الجانب البدوي في ذوق " السمير" القادم " سمع الشبان خلف المرأة يرددون بترق مقاطع من أغنية للشيخ إمام : ( البقرة تنادي ..حاحا ..وتقول يا ولادي) انتابه شجن لمال أغنية الشيخ الذي ظلم مرتين" (م س ، ص 47) اكتفى بـ "للصبر حدود" لأم كلثوم (م س ، ص 47) "تعود النوارس حتى بعد غربتها" (م س ، ص 56) في إشارة لعشاق الوطن الملتزمين. "أهواك واتمنى لو أنساك "انبعث النغم الحزين من بوق السيارة "صحيح أن سامح قريب من الشيخ إمام "أحس أن أغانيه قريبة منه ،هو يحلم أن ينجح في كتاباته من حين توفق إمام في معالجة قضايا مجتمعه وأهله ووطنه.. ردد في قرارة نفسه: "هكذا يمكن أن يخدم المثقف الناس في عصره، فيكون معهم، وإن ضل عزفه المنفرد طريق السائد، وارتفعت كلمته ، وتحجرت

1 روايتان لنجيب الكيلاني ،المصري

2 لمصطفى محمود، المصري.

أغانيه، واجتهدت كان الذوق العام في حبس الصوت وكنتم  
الأنفاس (عبير الدفلى، ص 114)

"كانت كلمات أغانيه بسيطة ولكنها كانت تهجم على  
الوعي، كانت نبرة صوته هادئة، ولكنها كانت تلامس شغاف  
القلب، كانت نغماته واضحة بليغة وقوية، معنى ومعنى "أصلي عالني قبل  
البداية" ن"أبوح يا أبوح"، "هم مي نواحن مين"، "غيفارا مات"، "دور يا  
كلام على كيفك دور"، "دلي الشكارة"، "يا فلسطينية"، "أتوب ازاى وانا  
أيوب"، "سالمه ياسلامه" "اصحي يا مصر" (م س، ص 115)

وصحيح أننا نجد بين الصفحات صدى لأبي الجود (محمد منذر سرميني)

ARCHIVE  
http://Archive.org/Sakhr.com

"رباه إني غارق في ذنوبي

وسبيل عفوك غاية المطلوب"

(أهواك، ص 98)

لكن سلطان عبد الحليم شبانة (عبد الحليم حافظ) أقوى على قلب  
مثلثنا، فلما غير سائق سيارة مهرجان الكراكة الشريط الذي بدأ بأغنية  
عبد الحليم "أهواك" ليضع أغنية لأم كلثوم، أعلن زهير "أن صوت عبد  
الحليم أكثر إيناسا وشدا للناس وتأثيرا في السامع.. اختصما (..) وقد  
اهتديا إلى حل وسط ولجآ إلى صوت وردة" (أهواك، ص 67) ومرة أخرى  
انتهى إلى أسمع سامح من إحدى محطات الإذاعة نغم عبد الحليم "حاول  
تفتكرني" وعندما ردد "سافر من غير وداع فات في قلبي جراحو" زارت

سامح كآبة مرة وسكن قلبه حزن رهيب، وقد أحييت الأغنية جرح الفاجعة الذي لم يندمل، وذكر الصديق سمير الذي رحل صغيراً قبل عامين، ومات غرقاً وقد تجمد أسفل في عمق البحر عندما غاص يريد سحب شبكة الصيد التي علقت ببعض الحجارة" (عبير الدفلى، ص 48) ويكفي أن عنوان الرواية "أهواك" هو عنوان أغنية شهيرة لعبد الحليم. وقد تمرن سامح على آلة العود حتى دعاه أبوه بـ "خميس ترنان" وفي ذلك تحفيز على تحصيل الذوق الموسيقي، وكثيراً ما سمعه ينادي: "لم أسمع نقرات الترنان، هل هو في الطابق العلوي يذاكر دروسه؟" (عبير الدفلى، ص 41) ولما يعينه تعديل الأوتار (1) يتنهّد ويضع بالمسجل شريط "حاول تفكرني" لصاحبه عبد الحليم، وهو أحسن رفيق لإعداد امتحان البكالوريا (عبير الدفلى، ص 41) ولكن شدو زميلته سنية "بأعلى صوتها بمواويل عبد الحليم وأغانيه" جعله "لا يعيرها اهتماماً" منذئذ إذ اعتبر ذلك سوء أدب (عبير الدفلى، ص 50) إذ لا تكفي الأغنية الجميلة ليكون مؤديها ذا مكانة لديه، بل لا بد من شروط أخلاقية قبل كل شيء، وقد توطدت علاقة سامح بجمال الصحافي "بجبهما الراسخ لأغاني العندليب" (عبير الدفلى، ص 77)

## 2- التنشئة الدينية لدى أعلام سليمان بن يوسف:

زهير كان محظوظاً، صحيح أن أباه لم يلقيه الممارسات الدينية، نظراً لعمله المضني في التعاضدية (أهواك حلق الوادي، ص 13) فيعود إلى المنزل وأبنائه "يغطون في نوم عميق" (أهواك ص 13) ولكن



رداءة الأحوال الجوية ذات يوم، جعلت معلم السادسة الابتدائية يعظ الصغار ب "أهمية تعلم فريضة الصلاة والتهيؤ لها بلزوم ما يلزم من وضوء" ( م س ، الصفحة نفسها) ومن حسن حظ "زهير" أن هذا المعلم ("القلاوي") يدافع عن حق الأطفال في ممارسة الصلاة، إذ "خاصم بعض المصلين الذين نهرؤ التلاميذ في ميضأة الجامع، حين تراحموا للظفر بمواقع أمام الحنفيات" (م س ، ص ن)

وبذلك " ازداد تعلق زهير بالصلاة، وازداد ثقة وأملا، وسعى بحماس عفوي إلى الجامع" (م س ، ص ن) ورغم أنه لم يكن محظوظا، لما أخطأ في تحديد القبلة، وإذ لم يكن أسلوب تقويم الرجل له لطيفا أو مهونا للأمر، فشعر "بالخجل وانصرف فور إطلاق الإمام للسلام(..) دون أن يتم المعقبات " (م س ، ص ن) فيجر البلدة يذكره الله مقصود الصلاة، وموازياته من سماء وشمس وظل، كانت ملاجئ من عدم رضى المصلين عنه" لم يسرح طويلا مستذكرا هفوته الفادحة في الصلاة... أحس أن الزرقة حياة والشمس نور والظل مأوى. طبيعة البلدة البحرية حباها الله بما لم يهب حتى جزيرة الأحلام جربة" (م س ، ص ن) وجزيرة الأحلام هي جزيرة الأجداد ، فخروج زهير من الحمى السكني، ودخوله في الحمى الشاطئي ، يعنيان نسيان الضغط الاجتماعي بالحمى المسجدي.

علم الأب الممارسة الجديدة، فلما اكتشف زهير "راكعا يصلي" في ظلام الليل "ابتسم(..) وانتظر فروغ ابنه من صلاته" ليزيد التدعيم الذي

بدأ بالإبتسام بواسطة الدعاء "دعا ربه أن يقبل منه الطاعة ويكمل أعماله بالنجاح" (م س، ص 14) ويضيف واعظاً بالمزح المأثور: "الفريضة يلزمها كيسه عريضة، ومشى وجي بين الصلاة والميضة، وإذا كان الفكر مهموم والقلب يخم، لا تصح لا بالوضوء لا...

علم المهندس عبد الرحمان المهندس المتقاعد زهيراً كيفية تعديل الأوتار (أهواك، ص 68)

بالتيمم" (م س، الصفحة نفسها) في إشارة إلى أن القبول قبولان: قبول ظاهري وقبول باطني.

يحافظ سامح على " أدعية النوم " وعلى النوم المبكر بعد صلاة العشاء، فهو متماء بأبيه القائل له: "ارقد نعاجي واصبح دجاجي، تعيش مالبلاء ناجي" (عبر الدفلى، ص 34) وكثيراً ما يختم يومه، قبل النوم يسحب " مصحفه الصغير " من تحت الوسادة " فيقرأ ما تيسر " (عبر الدفلى، ص 37) ويفتح عينيه " وقد استيقظ على صوت أبيه وهو يرتشف قهوته بعد أن فرغ من صلاة الصبح وأعقبها بدعائه لأبنائه " ويرى أباه " تفيض على وجهه ابتسامة هائلة " (عبر الدفلى، ص 43)

يحفزه أبوه على كل أمر: "لو تنورنا، وتنجح ستكون لك مفاجأة سارة، الكل يسأل في الحانوت عن تحضيرك للإمتحان (..) استبشر سامح برضى أبيه وبإشراق وجه أمه المستدير" (م س، ص 44) يدعمه دعاؤه: ط الله يصلح رايك وينجح اعمالك" (م س، ص 44)



تحفيز الوالد متنوع :دخل الوالد بابتسامته المعتادة الواثقة، ووضع أمام سامح علبة لبن طازج: "أعلم أنك تحبه كثيرا، جلبته لك خصيصا" فيشكره الابن ويضيف ماثورا دعائيا: "اللهم بارك لنا في ما رزقتنا وزدنا منه" (1) (عبير الدفلى، ص 83) وكثيرا ما ينجح "بدعابته وظرفه في انتزاع بسمة عريضة ارتسمت على وجه سامح" (عبير الدفلى، ص 85) منوعا أساليب الخطاب، من الحكاية إلى المثل إلى الشعر العامي، إلى ماثورات السلوك الغذائي والأخلاقي والتفاعلي، هو يتناول الشاي مثلا، فيقول:



"التاي نزهة جميع خصايل الدنيا حازرها"

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

الأولى السهرية

والثانية ينحي التعب والعياء

والثالثة للضيف فنطازية

فناجين فوق الطاولة راكزها

والرابعة يخليه في سورية يتحزم للأملاك ويجهزها" (عبير الدفلى، ص 85) ولكنه يبين سلبياته أيضا من خلال حكاية، تنتهي برفع البراد رغم سخونته والإلقاء به وتمشيته على الجدار: "قعدتك قعدة جمل ومنظرك منظر حنش

وفيت الفلوس ماجبيرة وباش تدور لي عالدبش" (عبير الدفلى، ص 85) 1 تكاد لا تمر صفحة دون تناص لنص قرآني مع نص حديثي أو مثل أو تضمين.

يصف سامح حديث والده بـ "الممتع" والمكرس لمكارم الأخلاق: "الرزق يأتي من باب واحد، لقد ذكرتني بأحد التجار الذين عملت معهم، كان شديد الحرص على الإستزادة من المداخيل، كنت أقول له: (يكفي، بات الرزق، هيا نغلق المحل)، فيرد ☹ لعل هناك زبائن قادمين، فأنت لا تعلم حلاوة عمليات البيع في الساعات المتأخرة من الليل) وأنصاع لرغبته، وما هي إلا دقائق حتى تلفظ بعض الحانات المجاورة ندماءها، فيقبل بعضهم على المحل ويعيشون فسادا، وعندما يحاول صاحبنا إخفاء علامات خيبته المرة، أذكره بحلاوة فلوس البيع آخر الليل" ثم يترك ولده ليستعد للصلاة (عبير الدفلى، ص 87)

يرى سامح أباه "أسدا سار في الأرض يعمل بلا كلل، يزرع البسمات في وجوه من صادفه، يحفظ الأمانات في متجره، ويعمل ثم يعمل، ينقل قوارير الغاز إلى بيوت الحرفاء لجني بعض المال الإضافي، ويفاخر بأنه لم يأخذ في حياته يوم إجازة، حتى عشيات الأحد كان يتتاع شيئا من الفلفل الأحمر ليرحيه فيبيعه في المتجر، لتحصيل شيء من المال الإضافي الذي يستعين به على مصاريف عائلته، هو ذلك الفارس.. "هو الأب والمربي والصديق والرفيق" هما شيء واحد "كنتما كل شيء" (1) (عبير الدفلى، ص 104)

خجل المثلث زهير، سامح وسمير يعود إلى حضور الوازع لديه دائما: "بدا له أحد معلميه، يراقب ما يجري في الخلوة مع يهودية غريبة" (أهواك، ص 97)

يتذكر زهير "حديث مدرس التربية الدينية ذي الكلام الواصل (1) النافذ للقلوب، الذي يلهم بإيمان العجائز" (2) (أهواك، ص 27)

ولقد شجعه أبوه على حفظ القرآن: "أتذكر عندما كنت مجالسا للعلم الطاهر، الذي كان يراجع القرآن في محله الصغير المجاور لبيتته، وعدتني حينها بالفوز بجائزة قدرها 500 مليم إن أنا اجتهدت وحفظت جزء عم (...) وقد حفظته وشارفت على إنهاء ربع ياسين بمساعدة إمام جامع عمر، الشيخ رجب، ولكنني لا أبتغي مالا، فكلام الله أغلى" (أهواك، ص 14) ولكنه يشكو له من سخرية أحد أصدقائه من صلاته: "زاعما

1- بعد سخاء من يوزع عليهم قوارير الغاز يشكل أهراما من القطع النقدية، يخصص بعضها جوائز تشجيعية لقاء نتائجهم الدراسية" ودعا لهم بالنجاح" (أهواك، ص 39)

أنه لم يبق من فرص لدخول اللجنة سوى بقعتين، سيكونان حتما من نصيب الشيخ عبد الباسط عبد الصمد، والمؤدب الشيخ رجب.. غفر الله له" (أهواك ص 14)

ويفتخر زهير بأنه صلى وراء الإمام الشاعر جلال الدين النقاش صاحب "ألا خلدي" الذي ختم خطبة الجمعة بـ "اللهم انصر زعيمنا المجاهد الهمام، رمز التضحية والإخلاص والإقدام، وبلغه من غايات النصر كل مرام" (أهواك ص 14)

# من مراكز التراث المخطوط بالجزائر: المكتبة القاسمية نموذجاً.

(2)

بقلم الدكتور: عبد المنعم قاسمي الحسني  
(الجزائر)

مخطوطات التاريخ:

وأما في السير والتاريخ ففي مكتبة الزاوية 38 عنواناً وفيما يلي ذكر

لبعضها:

ARCHIVE

— إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون السمتة بالسيرة الحلبية

— شرح ألفية السيرة للعراقي، وبهامشها عدّ تعليقات، وقرئت

بمحاضرة الأستاذ من أحد طلبته.

— نور الإنسان في شرح سيرة ولد عدنان

— معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان.

— عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، لمحمد أبي رأس بن أحمد بن

ناصر الناصري

— نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار للحسين بن محمد

السعيد الورتلاني.

— الاكتفاء في أخبار الخلفاء.

— ترتيب المدارك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك.

ولعل من أسباب بقاء هذه المكتبة، هو حفاظ أبناء الزاوية عليها، وإبعادها عن أعين السلطات الفرنسية، وربما من حسن حظ الثقافة العربية الإسلامية في هذه المنطقة، أن نجت المكتبة والزاوية من التهدم أو الحرق. وقد كانت همزة وصل بين تاريخ مضى وتاريخ آت، بين أجيال مرت وأجيال حاضرة تسعى جاهدة للإطلاع على هذا التراث الغني.

— من نفائس المكتبة:

أولا: الوثائق:

— شجرة الأنساب: تضمنت نسب الأسرة القاسمية بدءا من المؤسس وينتهي إلى سيدنا محمد، عليها عدة توقيعات ومصادقات على صحة النسب بالهامش من أعلام الشام والجزائر منهم: محمد بن محمد الجباص مفتي الشام. محمد سليم كزبري زاده، أحمد بن محيي الدين الحسيني، محمد أمين بيطار زاده، محمد علي الألوسي، أبو القاسم الحفناوي، علي باشا بن الأمير عبد القادر، طاهر بن صالح الجزائري...

— ترجمة الشيخ المؤسس لنفسه: بخط يده، تقع في صفحة واحدة، يبدو أنها كانت عبارة عن مسودة كتبها للشيخ محمد بن الحاج محمد للاستعانة بها في كتابه الزهر الباسم، إلا أننا نجد اختلافا بينا بين ما جاء فيها وما جاء في الزهر.

— وثائق الحكام الأتراك: وهي التي تعترف بشرف أولاد سيدي عبد الرحيم القاطنين بقرية شرفة الهامل، وشملتهم رعاية وحماية الدولة



التركية، وأسقطت عنهم الضرائب،

— شهادات الشرف: من مشائخ وعلماء الجزائر، من أمثال الشيخ عبد الرحمن الثعالبي، الشيخ ابن عرفة، والشيخ سيدي عيسى الدندني، إلا أن أصولها ضاعت ولم يبق إلا ما نقل عن هذه الأصول.

**ثانيا: الأجازات: لعل من أهم هذه الأجازات:**

إجازة علي بن عبد الرحمن بن محمد ابن الحفاف الجزائري: 1307 هـ / 1890 م للشيخ محمد بن أبي القاسم الحسيني في كتب الحديث الصحاح والموطأ للإمام مالك والشفاء للقاضي عياض بإسناده، عليها ختم جده بملاحظته.

إجازة العمالي حميده بن الحاج محمد العمالي المفتي المالكي الجزائري: 1227 — 1290 هـ / 1812 — 1873 م، إجازة منه في رواية مؤلفات الثعالبي الجزائري للشيخ محمد بن الفخار المداني.

إجازة محمد بن أبي القاسم الهاملي المالكي لابن أخيه محمد بن محمد بن أبي القاسم في رواية صحيح البخاري ومسلم بسندين، وأعقبه بإجازة عامة في الفقه والتفسير والنحو والأدب وغيرها.

إجازة الوتري محمد علي المدني: 1261 — 1322 هـ / 1845 — 1904 م، إجازة منه في جميع مروياته ومسموعاته ومقروآته للشيخ محمد بن محمد بن أبي القاسم.

**ثالثا: الرسائل:** مجموعة رسائل لأعلام من الجزائر والمغرب الأقصى وتونس ومصر والحجاز والشام، معظمها وارد إلى شيوخ زاوية الهامل



القاسمية، بدءاً من الشيخ المؤسس سيدي محمد بن أبي القاسم الشريف الحسيني الهاملي، وانتهاءً بالشيخ الخليل بن مصطفى القاسمي، منها: الأمير عبد القادر، رسائل من الشيخ محمد المكي بن عزوز، ورسالة الشيخ ابن الحداد، رسالة من الأمير الهاشمي، ورسالة الشيخ مصطفى ابن عزوز أبي النخبة والرسالة الأخيرة لابن الحفاف.

ولقد مكنت إدارة المكتبة عام 1419هـ/ 1999م، المركز الوطني لحفظ الوثائق "الأرشيف" من نسخ عن معظم هذه الرسائل. كما تم نشر صور بعضها كرسائل الأمير عبد القادر الجزائري، في كتاب الثقافة الصحراوية ليوسف نسيب، ونشرت نصوص بعضها الآخر في دوريات للتحقيقات تاريخية عديدة.

## ARCHIVE

من هذه الرسائل:

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

رسالة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الأزهرى، يخط يده وهي من الرسائل التي كان يوجهها إلى أتباعه، غير مؤرخة. 35 س / 10 ك. موضوعها تصوف.

رسالة الشيخ المقراني الحاج محمد باشا آغه بن أحمد: (ت 1872 م)، موجهة إلى الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي بتاريخ 24 ربيع الأول 1287 هـ = 1870 م، يوجد عنها صورة عن الأصل المفقود.

رسالة محمد علي بن ظاهر الوترى، موجهة إلى الشيخ محمد بن محمد القاسمي، بتاريخ غرة المحرم 1308 هـ.

رسائل الكتاني إلى شيخ الزاوية الشيخ مصطفى القاسمي حوالي عشرين رسالة.

رسائل أسرة الشيخ محمد بن عزوز:

الشيخ بن عزوز محمد بن أحمد بن عزيز البرجي: (ت 1233هـ — = 1818م).

بخط يده، موجهة إلى السيد النوي ؟ يبدو أنه أحد مريدي الشيخ محمد بن عزيز، موضوعها تصوف.

رسالة الشيخ مصطفى بن محمد البرجي: (ت 1282هـ / 1866م)، موجهة إلى الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي.

رسائل الشيخ محمد المكي إلى الشيخ محمد بن أبي القاسم كثيرة، واستمرت مراسلاته حتى بعد انتقاله إلى الآستانه.

تراث الشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي: رسائله حول التوزية، الهجرة، الطرق الصوفية...

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

تراث الشيخ عاشور الحنفي.

تراث الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي.

— أهم المخطوطات الموجودة بالمكتبة:

1. أصغر مصحف في المكتبة: عدد صفحاته 514. الأسطر: 10. كلمات:
7. الورق: عاد. المقاس: 115/105مم.
2. أقدم مصحف شرقي: يرجع تاريخه إلى القرن الثامن هجري = 14 ميلادي. متقن.
3. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين: محمد مرتضى الزبيدي (ت 1205هـ = 1790م)، في ثمانية أجزاء، تجليد مذهب الإطار مزهر الوسط. منمق.

4. الإرشاد لما فيه من مصالح العباد: لعبد الرحمن الثعالبي، في 210 ورقة، ورق قديم، متقن، عليه تملك محمد بن مصطفى خوجة الحنفي.
5. أزهار الأفكار في جواهر الأحجار: لأحمد بن يوسف أبو العباس التيفاشي (ت 651هـ = 1253م)، الأوراق: 27. الورق: عربي صقيل. مؤطر. منمق.
6. الإسفار عن معاني الأسفار: خالد بن عيسى البلوي المالقي (ت بعد 776هـ = بعد 1374م)، تاريخ النسخ: 855هـ. الناسخ: علي بن محمد بن علي بن الأزرق الأصبحي من علماء الأندلس. مكان النسخ: مالقة. الخط: أندلسي. الأوراق: 141. مختتم ومزهر الوسط. عتيق.
7. إكمال إكمال المعلم لفوائد كتاب مسلم: محمد بن خليفة الأبي الوشتاني المالكي (ت 827هـ = 1424م)، الجزء الأول منه، تاريخ النسخ: 1166هـ. الأوراق: 257. مؤطر. منمق.
8. أنموذج اللبيب في خصائص الحبيب: جلال الدين السيوطي (ت 911هـ = 1505م). تاريخ النسخ: آخر ربيع ثان 909هـ — في حياة المؤلف —. مكان النسخ: تلمسان. الخط: مغربي.
9. أنيس الجليس في جلو الحناديس عن سينية ابن باديس: ابن الحاج اليبدر التلمساني (ت 930هـ = 1524م). تاريخ النسخ: شعبان 927هـ —. منمق وفيه زخرفة في أوله وبداية كل فصل.
10. بيان وحدة الوجود المطلق المتلاشي: الشيخ بهاء الدين خواجه نقشبند البخاري (ت 791هـ = 1389م)، تاريخ النسخ: 935هـ —. الناسخ: موسى بن محمد. المكان: مدرسة قاضي ببلدة أماسية. بتركي.

تجليد أصلي مزهر الوسط واللسان.

11. تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية: قطب الدين الرازي التحتاني (ت 766هـ = 1365م)، حبر أسود وماء الذهب وعدة ألوان أخرى. عدد الأوراق: 134. مؤطر. منمق. فيه ست جداول توضيحية بماء الذهب. بهامشه تقييدات بخط دقيق جدا ومنظم ويتخلل أحيانا سطور المتن. العناوين كتبت على الهامش بخطوط مختلفة بديعة وبشكل عمودي.

12. تفسير الجلالين: تاريخ النسخ: جمادى أول 964 هـ. الخط: نسخي جيد. المداد: أسود وأحمر. الأوراق: 202. الأسطر: 29. الكلمات: 12. الورق: شرقي. المقاس: 180/260. النص: 105/180. رقم: 3ن.

13. تفسير الجلالين: باللغة الفارسية: متن: نسخة من الثالث الثاني باللغة الفارسية: تاريخ النسخ: أوائل جمادى أولى 983 هـ. الخط: نسخي جيد. الأوراق: 179.

14. تناسق الدرر في تناسب السور: جلال الدين السيوطي (ت 911هـ = 1505م) الأوراق: 30. تاريخ النسخ: 909 هـ رقم: 3/6ف.

15. تنبيه الأنام في بيان علو مقام نبينا: عبد الجليل بن محمد المرادي القيرواني (ت 960هـ = 1553م)، 12 لوحة فنية في مستهله رسمت بماء الذهب وعدة ألوان أخرى، وفي آخره: صاحبه ومالكه السيد القائد محمد بن علي صاحب ولاية قحطولة وبوغني، مؤطر، فيه زخارف

ومنمنمات بماء الذهب. رقم 49ص، والكتاب من جزأين وعليه ختم محمد بن عثمان باي.

16. الجامع الصحيح للإمام البخاري: منمق: في سفر واحد، تاريخ النسخ: أوائل ذي القعدة 1113هـ. الناسخ: محمد بن حسين بن محمد المنصوري. المكان: الجزائر. الخط: نسخي جيد منمق. المداد: حبر أسود وأحمر. الأوراق: 394. مؤطر بإطارين متباعدين بماء الذهب. التحليل شرقي جيد مزهر الوسط واللسان والأركان. رقم: 1خ.

17. الجامع الصحيح للإمام مسلم: منمق: في سفر واحد: منمق، فيه زخارف. تاريخ النسخ: 14 صفر 1167هـ. الناسخ: الحاج مصطفى بن عبد الله. الجزائر. الخط: نسخي جيد. المداد: حبر أسود وأحمر. الأوراق: 297. عليه تملك محمد بن أحمد الشريف.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

خاتمة:

بعد هذه الجولة في ربوع هذه المكتبة الغنية الثرية بمخطوطاتها وكنوزها، نرجو من أصحاب المكتبات أن يمكنوا الباحثين من الاطلاع على ما احتوته خزائنها من النفائس والذخائر.

وقد ساهمت المكتبة في الفترة الأخيرة في نشر التراث الجزائري، وكانت لها اليد الطولى في إنجاز العديد من الدراسات الأكاديمية:

الحلل الحريرية لأبي راس المعسكري، تم تحقيق الجزء الأول منه. رسالة ماجستير من إعداد الطالب الطيب بلعدل، معهد الأدب، جامعة الجزائر، سنة 2000.



سلم الوصول، القهوة المرتشفة، للشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي.  
أنيس الجليس: لابن الحاج اليبدي التلمساني. رسالة ماجستير.  
ذخيرة الأواخر: لأبي حامد المشرقي، تقديم وتعليق الأستاذ عبد المنعم  
القاسمي الحسني .

ديوان منة الحنان المنان للديسي.  
لطائف المنن للسكندري، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية،  
جامعة الجزائر، الباحثة سلطاني.

كما قامت دار الخليل القاسمي، بنشر الأعمال التالية:  
الوصية الجليلة للسالكين الطريقة الخلوتية: كمال الدين البكري الخلوتي.  
تلخيص تاج التراجم: لابن كمال باشا الرومي الحنفي.  
عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من شرفاء غريس: لعبد الرحمن بن  
عبد الله التوجيهي.  
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>  
المقدمة الوثائقية لمعرفة بعض أحكام الطريقة: لمؤلف مجهول.  
تحفة المحبين المهتدين: للديسي.

#### قائمة المصادر والمراجع:

- الأعلام: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط10، 1992.
- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون: إسماعيل باشا البغدادي،  
جزآن، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 1413هـ = 1912م.
- تاريخ الأدب العربي: كارل بروكلمان، ترجمة السيد يعقوب بكر ود  
رمضان عبد التوب، دار المعارف، مصر، ط1، 1975.



- تاريخ الإسلام السياسي، الديني والثقافي والاجتماعي: الدكتور حسن إبراهيم حسن، الجزء الرابع، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، 1967.
- تاريخ الجزائر الثقافي: الدكتور أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1997.
- التشوف لمعرفة رجال التصوف: التادلي ابن الزيات، تحقيق أدولف فور، مطبوعات إفريقيا الشمالية، الرباط، 1377 هـ = 1958م.
- تعريف الخلف برجال السلف: أبو القاسم الحفناوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1985.
- تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان: محمد الصغير بن المختار الجلاي، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1916.
- حياة كفاح [مذكرات]: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1977.
- دائرة المعارف الإسلامية، جماعة من المستشرقين، نقلها إلى العربية إبراهيم خورشيد زكي ومحمد ثابت الفندي، دار الشعب، د ت، مادة زاوية.
- الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن عمر وسيدي بنعزوز: لعبد الرحمن بن الحاج بن علي بنعثمان، مطبعة النجاح، قسنطينة، 1350 هـ.
- درة الحجال في غرة أسماء الرجال: أبو العباس أحمد بن محمد الرؤوف ابن القاضي (ت 1025 هـ = 1616 م)، نشر علوش، الرباط، 1934.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب: إبراهيم بن علي اليعمري المعروف بـ "ابن فرحون"، دار الكتب العلمية، بيروت، د ت.
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيوخات والمسلسلات: عبد الحي

الكتاني، المطبعة الجديدة، فاس، المغرب، 1347هـ.

- رسائل بن عزوز: محمد المكي بنعزوز البرجي، (ت 1914م)، جمع و تحقيق علي الرضا التونسي، الطبعة الأولى، دمشق، 1984.
- الزهر الباسم في ترجمة الإمام سيدي محمد بن أبي القاسم: محمد بن الحاج محمد القاسمي، المطبعة التونسية الرسمية، تونس، 1308هـ.
- زوايا العلم والقرآن في الجزائر، محمد نسيب، دار الفكر، الجزائر، 1986.
- عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء ببجاية: أحمد الغريبي، تحقيق عادل نويهض، دار الثقافة، بيروت، 1969.
- الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر: صلاح مؤيد العقبي، دار الوراق، بيروت، ط 1، 2002.
- المسند الصحيح في مآثر مولانا أبي الحسن، ابن مرزوق الخطيب، تحقيق ماريما بيغيرا، تقدم محمود بو عياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1381هـ.
- معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط 3، 1983. <http://Archivebeta.Sakhrit.com>
- موسوعة المستشرقين، عبد الرحمن بدوي، دار العلم للملايين، بيروت، ط 1، 1984.
- النفحات الرحمانية في مناقب رجال الخلوتية: محمد المكي بنعزوز (16 صفحة الأولى منه فقط)، دار السعادة، مطبعة روشن، 1327هـ.
- نخضة الجزائر وثورتها المباركة: محمد علي دبوز، المطبعة التعاونية، ط 1، 1965.
- هدية العارفين بأسماء المؤلفين وآثار المصنفين: إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي (ت 1339هـ)، اسطنبول، 1951.
- أرشيف أكس ( H 73 ).

## سيدي حمادة

### القرية الأصلية

-9-

بقلم: عبد القادر الهاني

من الحكاية إلى الأسطورة: حكاية، فخرافة، فأسطورة

عندما تستمر الحياة، ويتواصل الاستقرار، ويتكرر ترديد الحكايات، تنشأ الأقايص و ينشط الخيال الشعبي فيفرز قصصا على جانب كبير من الغرابة والعجائبية.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

أساطير:

وفي باب الأسطورة نورد أسطورتين لهما شهرة كبيرة في القرية.

الأولى :

تذكر أن الولي الصالح : سيدي حمادة وهو يبحث عن أفضل مكان يتخذه مقرا له ولزاويته، وصل إلى المكان الذي فيه مقر الزاوية حاليا وكان وقتئذ "خشّة"<sup>(1)</sup> عظيمة بها عرينة<sup>(2)</sup> أسد، تولى الولي مخاطبته بما مفاده:

(1) مكان نراحت فيها أشجار غابية وتشابكت أغصانها بدرجة يصعب اختراقها .

(2) عرينة) الجمع عرائن مأوي الأسد والضبع والحية والذئب

إنه يدعو لمغادرة المكان حالا، لأنه اختاره موطناً له، فاستجاب الأسد للطلب في الحين، وغادر المكان دون إبداء أية مقامة ولا تلكء .

### الثانية:

تقول الأسطورة إنه وفي غمرة الفتوحات الإسلامية، ومن مظاهر بطولة سيدنا علي كرم الله وجهه، وفي إحدى النواقع الحربية الكبرى وعندما كان قبلة جبل السرج قفز به حصانه قفزة اجتاز بها الجبل، وأثناء ذلك لطمت ساقا الحصان الخلفيتان أعلى جبل فأسقطتا طرفاً منه وأبقته على الحالة التي هو عليها الآن.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

### أعمال المرأة:

- تحضير الطعام
- غسل الثياب
- صنع الصوف
- جلب الماء
- رحي القمح والشعير
- تحضير العولة (الكسكسي والمحمصة)
- حلب البقر والمعيز
- تربية الدجاج
- تنظيف مريض الدواب والماشية
- تبييض الدار

### نشاط البنات:

-إعانة الام في بعض الأعمال الخفيفة

-رعاية الإخوة الصغار

### أعمال الرجل:

### نشاط فلاح:

-حرث، بذر الحبوب

-تنقية الزرع في الربيع

-حصاد ودراس

-زراعة أشجار الزيتون, الأشجار المثمرة

ARCHIVE -خدمة السواني

http://Archivebeta.Salimicou.com جمع حبوب الزيتون وعصرها

### تعليم:

-عدول إشهد

-رعي

-بناء

-تجارة

-خياطة

-صدارة

### نشاط الأولاد:

-حظ القرآن في الكتاب

-رعي الجديان والعجول

-مساعدة الأب في بعض الأعمال الخفيفة

نساء متنوّرات:

هن ثلاث نسوة من حفيدات الجد الأعلى الولي الصالح سيدي ومولاي حمادة رحمه الله، برّد ثراه، كان لهن دور بارز في المجتمع المحلي الحمادي ومن ثمة جاء وصفهن بالمتنوّرات، فهن ناضلن من أجل تعليم أبنائهن كما كان لهن دور في الحياة الاجتماعية العامة مثلما أُنهن عرفن بكرم الصفات كما سنرى لاحقاً، وسأذكرهن بحسب الأسبقية في الولادة :

### 1- مباركة بنت الحاج علي الزغدودي

زوجها أحمد بن حسين الحمادي أنجبت له من البنين اثنين: صالح وعبدّة ومن البنات: حرصت الأم مباركة على أن يزاوّل ابناها التعلم في (كتاب القرية) لحفظ القرآن الكريم وكان زوجها مسانداً لهذا الصنيع رغم أنه غير ميسور الحال. يروى أنه ذات صيف وقد ذهب يحصد في المكان المسمى "ظهير الذيب" قرب سليانة، وفي نهاية الموسم كان محصوله قلبتان من القمح ومثلهما من الشعير، وذاك عين تفاق المدب (الأجر السنوي) ولذلك فإنه لما عاد إلى القرية ذهب مباشرة إلى المدب وسلمه كل محصوله ورجع إلى منزله فارغ اليدين. وعندما سمع المدب بذلك تأثر وسارع بأن أرجع له قلبة قمح وقلبة شعير.

ودور أم صالح يظهر عندما توفي والد صالح ولم يترك مالا ولا ممتولاً، ومع ذلك أبت إلا أن يواصل ابنها صالح التعليم في الكتاب، ثم وبعد أن حفظ القرآن الكريم ناضلت من أجل أن يذهب إلى تونس ويتعلم في جامع



الزيتونة، وتحملت في سبيل ذلك شدة الحاجة وضنك العيش حتى أكمل ابنها تعليمه بنجاح وأصبح مدرسا بجامع الزيتونة فتبسم له الحظ وراقت لها الحياة، فعاشها أخا نصوحا ومعينا كريما لكل أبناء قريته، الذين يحضرون للعاصمة لمزاولة التعليم في جامع الزيتونة، وعاشتها أما رؤوما لكل أبناء القرية الذين يعيشون في تونس تشاركهم الأفراح والأفراح، تزورهم عائلة عائلة، وتسال عن أحوالهم وظروف عيشهم فردا فردا، وواضبت على هذا الصنيع إلى أن وافتها المنية.

رحمها الله وجازاها الجزاء الأوفى .

#### ● - عيشة بنت أحمد بالصالحية :

تزوجت من فرج بن العربي وما إن أنجبت بكرها: عبد الستار حتى توفي الأب فترملت الزوجة وقررت أن تعيش لوحدها، وترعاه وتسهر على تعليمه بما تيسر لها من مخلف والده ولم يكن ذا بال، وبما وهبها الله من صبر وحسن تدبير. ولما أتم الشاب عبد الستار حفظ القرآن، اتخذت الأم من الضعف قوة، وأرسلت به إلى القيروان ليرسم في الفرع الزيتوني. هناك زاول التعلم أربع سنوات ثم خرج إلى معترك الحياة، فقد انتدب معلما بالتعليم الابتدائي، وهكذا تنفس الصعداء، فتيسرت حاله وتنفس الصعداء، فاطمأنت نفسها، وواصلت ما اعتادت عليه من تمسيد كل من به علة علاجها التمسيد ودون مقابل إلا دعوة الخير.

#### 3- خدوجة بنت الحاج عبد الرحمان :

متزوجة من الحبيب بن علي بن أحمد بن الهادي أنجبت له من البنين : عبد القادر وأحمد ومحمد رابع ، ومن البنات حبيبة وفاطمة وعائشة بية.

في منتصف الأربعينيات أصرت الأم خدوجة على تعليم ابنها عبد القادر وأحمد في تونس كما يتعلم بعض أندادهما من أبناء القرية واستنجدت بأهل الرأي من الأقارب لإقناع زوجها الذي كان مترددا في أول الأمر، ثم تجاوب مع الفكرة، فانتقلت العائلة إلى تونس، وأدخل عبد القادر وأحمد على المدرسة القرآنية الأهلية لهج سيدي بن عروس، وكان ذلك سنة 1947-1948 ، وفي سنة 1950 انتقل ابنها للدراسة في جامع الزيتونة، وفي سنة 1952 توفيت المرحومة خدوجة وهي سعيدة بأن ابنها عبد القادر يتعلم في جامع الزيتونة .

وقد اشتهرت بدمائة أخلاقها مع قريباتها وجيرانها. كما عرفت بالذكاء وحسن التدبير، ومغالبة الصعوبات من لك أنه في إحدى المرات تفقدت ماعون العولة إذ أنها قررت أن تشرع من الغد في "العولة" فوجدت آن الصقات لم يعد صالحا للاستعمال، وبما أن شراء صقات آخر يحتاج إلى وقت (أسبوع على أقل تقدير) لذا بادرت بأن جعلت من مزود قديم سيورا برمتها وجددت بها الصقات القديم، ومن الغد باشرت ما كانت قد قررت عمله.

• لها من الكلام المأثور من مثل:

يا لله الجمعة، يآلي منورك ربي بين ليام سلميلي على سيدي النبي سلام فوق سلام فوق سلام

هؤلاء النسوة الأمهات الثلاثة: مباركة وعيشة وخدوجة، لولا حسنهن المرهف، وإدراكهن الأهمية الكبرى للتعلم، وإصرارهن على تجاوز عقبة قلة ما في اليد، وإقدامهن على المغامرة. وكأفن على علم بقول الشابي :

ومن لم يحب صعود الجبال يعيش أبد الدهر بين الحفر

لولا كل ذلك، لما تجاوز صالح ولا عبد الستار ولا عبد القادر التعليم بالكتاب. ولما كانت لهم فرص تحقيق النجاح في الحياة والمساهمة في خدمة المجموعة، في الوطن والوطن.

فالشيخ صالح بن حسين الزغدودي باشر التدريس في الثانوي والإمامة في بن عروس مقر إقامته وعمل عدل إشهاد في تونس العاصمة. والمربي عبد الستار بن فرج الحمادي باشر التعليم بالمدارس الابتدائية والإمامة في برقو وعين زكار من معتمدية برقو حيث يقيم . والأستاذ عبد القادر الهاني باشر التعلم في المدارس الابتدائية والمعاهد الثانوية.

وتحمل مسؤوليات إدارية عديدة ويقول : إنه سعيد بأن يكون آخر ما يقوم به من عمل : الإمامة في القنطرة في نفس المكان الذي تعلّم فيه رسم الحرف وكتابة الكلمة وحفظ ما ينسب من الآيات/البيئات.

### الهوامش:

\*1\* جاء في "تاريخ آداب العرب" لمصطفى صادق الرافعي الجزء الأول ص: 347 ط: 4 بتاريخ 1394 هـ-1974م

نال ابن دريد يهجوّه (يعني نفطويه) من أبيات:

أحرقه الله بنصف اسمه وصي الباقي صراخا عليه

يريد (النفط) ولفظ(ويه) وكان الصباح على الموتى بهذين اللفظين (واي-ويه) وأول من صاح بذلك في الإسلام، أم عبد الحميد الثقفي صاحب ابن مناذر (الشاعر أيام الرشيد العبادي حين مات عبد الحميد، وكان من أجمل الفتيان جمالا...)

• 2- الذين تجاوزوا مرحلة "الشقة" وهي مرحلة الفلح الأول، علما وأن الغالبية العظمى من الطلبة تحرّز على حفظ جيد للقرآن بعد أربعة سلكات: من الفاتحة غلى ختام سورة البقرة ثم آل عمران إلى سورة الفاتحة تلك هي الملكات أو الأقلام الأربعة. وفي القليل النادر يتم الحظ في أكثر من أربع سلكات مثلما أنه من النادر أن يتم الحظ في سلكة واحدة أو سلكتين اثنتين.

## قريقوري

### أسوة حسنة للعلماء

بقلم: عبد الكريم العطاوي

تصفحت كعادي يوم الإربعاء 31 مارس 2010 صفحات من جريدة الأخبار الأسبوعية المؤرخة من الخميس 1 إلى الإربعاء 7 أبريل 2010 ص 3 فوق نظري على عنوان بارز: "يعيش في شقة على وجه الكراء عالم رياضيات روسي، يرفض جائزة بمليار دولار !!".

يدعى هذا العالم الرياضي قريقوري بارلمان 43 سنة توصل من خلال أبحاثه العلمية إلى حل مسألة عويصة جدًا في الرياضيات، تعد الأصعب على الإطلاق، وهي من وضع عالم الرياضيات الراحل (هنري بوانكاري) الذي قدمها ضمن نظرياته منذ سنة 1904.

استدعي هذا العالم يوم 18 مارس الفارط 2010 إلى معهد (كلاي) للرياضيات لمنحه تلك الجائزة المذكورة أعلاه، فرفض قائلاً: إنه يكره هذا التكريم المماثل لحيوان معروض للفرجة في حديقة عمومية، كما نفى عن نفسه نفياً قاطعاً كونه نابغة، بل هو كواحد من المدرسين بلا تمييز، والحال أنه كان يعيش في شقة على وجه الكراء مع أمه، وهو في حالة متواضعة جدًا.

هذا الموقف النبيل الذي بدا من قريقوري بارلمان، يذكرني بموقف



محتوى الرسالة الإسلامية وعلمائها الأبرار المتأثرين بالمنهجية العلمية الإسلامية التي كانت تدعو أتباعها إلى التمسك بالعلم. قال تعالى : "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات" (المجادلة 11) وقال أيضا : "وقل ربي زدني علما" (طه 114) وقال أيضا : "وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" (الإسراء 85).

هذه المجموعة من الآيات القرآنية، تطلب من طلبة العلم التواضع والقصور والجد لبلوغ المرتبة الممتازة في تحصيل العلم لمحدوديتهم الفطرية الطبيعية، لأن الكمال لله وحده في هذا الميدان العلمي، عليهم إذن السعي المتواصل لطلب العلم لذاته فقط، نظرا لمزلته السامية. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "العلماء ورثة الأنبياء" وقال أيضا: "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة".

يبدو للباحث التريه، أن محتوى الرسالة الإسلامية تنير الطريق لكل باحث عن مسألة علمية، وتعهده بالجزاء الوافر في الآخرة.

بهذا الاعتقاد، سار علماء المسلمين في أبحاثهم العلمية بمختلف اختصاصاتهم على هذا الدرب. أذكر البعض منهم على سبيل المثال لا الحصر أمثال الكندي فيلسوف العرب ويحيى بن ماسويه ويختيشوع وحفص بن اسحاق وأبو بكر الرازي: الذي كان يوصي الأطباء بحسن السيرة وبإتمام دراسة الطب دراسة تشهد له بالتفوق وبمشاهدة كثير العمليات التي تجري في المستشفيات. وبإتصالة بكثير من مهرة الأطباء، وباطلاعه الواسع بقراءته مؤلفات مشهوري الأطباء، وأن لا يقتصر على



معلوماته وتجاربه الشخصية وحدها وإلا كان متخلفا في مهنته.  
 لم يقف علماء المسلمين عند هذا الحد من الإخلاص والانقطاع  
 لطلب العلم لذاته، بل عملوا على نشره لدى كل من اتصل بهم بدون  
 منّ ولأجزاء، كما ظهر ذلك في موقف قريقوري الذي كان بحق قدوة  
 لكل الباحثين عن الحقيقة العلمية. باعتبار العلماء ورثة الأنبياء. فلماذا  
 لم نطبق كباحثين وعلماء في ساحتنا العربية الإسلامية الواسعة هذه  
 السيرة المخلصة والمنهجية العلمية الخالية من الرياء والأجزاء الدنيوي كما  
 طبقه قريقوري في هذا العصر المادي ؟ مع أنه في أمس الحاجة إلى  
 التكريم .

أقول من موقعي هذا، كباحث إن هذا الرجل يعتبر في نظري  
 فريدا من العلماء الأبرار الجامعين للمبادئ ساميين هما : المبدأ التربوي  
 والمبدأ العلمي.

أ- فالمبدأ التربوي : يتمثل عنده في شيئين إثنين هما 1- رفضه للتكريم  
 الذي سيجعله شبيها بالحيوان المعروض للمشاهدة في حديقة عمومية في  
 حين أنه كان أهلا لهذا التكريم بدون منازع، لكنه رأى أن هذا التكريم  
 في غير محله لماذا ؟ لأنه يكره هذا الحفل الذي يتنافى في اعتقاده مع  
 البحوث العلمية الحقيقية.

2- رفضه النعوت المنصبة عليه، ككونه نابغة وعبقريا لماذا ؟ لأن هذه  
 النعوت في اعتقاده إن قبلها ستجعل منه مدرّسا تافها، تبعده شيئا فشيئا  
 عن البحث العلمي الحقيقي الذي يتنافى مع الرياء الكاذب الذي يرفضه

ولا يؤمن به ويعتبره حاجزا منيعا بينه وبين ما يريد الوصول إليه، شأنه في ذلك كشأن العلماء المخلصين لمهنتهم ومهنتهم المنادين بشعار واحد: " مهنتي خير المهنة".

بهذا الاعتصام بالمبدأ التربوي من لدن قريقوري الذي جعله بحق عالما من العلماء الحقيقيين الذين قدموا خدمات جليلة للإنسانية تذكر فتشكر.

ب- المبدأ العلمي : يتمثل في متابعة ودراسة المسائل العلمية العويصة التي وقف عندها الباحثون. كما تجلّى ذلك في البحوث التي تابعها قريقوري بتأن وصبر وتجربة وبرهان رياضي مكنه من حل تلك المسألة الرياضية العويصة التي وقف أمامها العالم الرياضي الراحل هنري. مما يدل أن العلم سواء كان رياضيا أو طبيعيا أو تقنيا أو إنسانيا فهو قاسم مشترك بين العلماء وبالتالي بين المجتمعات الإنسانية المكرمة بالطاقة العقلية ولم يكن حكرا على المجتمعات الغربية ولا على البعض من المجتمعات الشرقية كالمجتمع الروسي مثلا. بل كان العلم يزدهر ويتطور حيثما وجد بيئة تحتضنه وتتكيف مع تطوراتها. كما لاحظنا ذلك في البيئة الأوروبية الحديثة عبر التاريخ.

هذا التدرج والانتقال من بيئة إلى أخرى يدلنا دلالة واضحة على أن العلم قاسم مشترك بين كل البيئات الاجتماعية بدون استثناء. إلا أن تقدم بعض المجتمعات وتأخر البعض منها، يعود أساسا إلى الفتور والقعود والتراخي والتسليم بالقضاء والقدر.

في حين أن هذا المفهوم المتعلق بالقضاء والقدر هو مفهوم سطحي، اتخذه البعض من المجتمعات ذريعة واهية لتأخرهم عن السعي في سبيل تحصيل العلم بالبراهين والتجارب العلمية. بناء على هذا أتوجه إلى الباحثين والعلماء راجيا منهم أن يتحملوا كل العراقيل والحواجز والصعوبات التي تعترض سبيلهم وتمنعهم من الوصول لحل تلك المسائل العلمية التي وقف عندها زملاؤهم السابقون كما أقول لهم أيضا عليكم بالمؤسسات والجهات التي تحتوي على مسائلكم العلمية لتساعدكم ببعض المخابر لأن البحث العلمي لا يحقق النتائج الباهرة إن لم يجد تعاوننا صادقا من المجتمع الذي يحيط به .

والحق يقال أن الباحث والعالم الحقيقي هو الذي يقدر بحثه العلمي فوف كل اعتبار كما فعل ذلك صاحبنا قريوقوري الذي ذاب إن صح التعبير في بحوثه، كما ذاب من قبله بعض الصوفية في تصوراتهم. بهذا يحق لكل باحث علمي أن يستमित ويقدم لوطنه نتائج أبحاثه، ويرفض المغريات المادية الخارجية رفضا قاطعا كأن يقول لصاحبها: " حب الوطن من الإيمان".



## يونس التليلي

### -بديع الزمان التونسي-

بقلم الباحث : محمد الرزقي

ولد العالم يونس التليلي سنة 1846 بمدينة توزر، إلا أن والده المرحوم محمد بن عبد الرحيم الرحيمي، ينسب إلى أولاد عبد الرحيم، وهم فرع من أولاد تليل المستوطنين منذ مئات السنين بمنطقتي " ماجل بالعباس " و "فريانة" من ولاية القصيرين، والذي عرف الكثير منهم بالتقوى والورع، خاصة أن نسبهم يعود إلى الصحابي الجليل سيدنا عثمان بن عفان.

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ويعرف الشيخ يونس بوالده، في كتابه "مناقب أولاد التليلي"، فيقول أنه يحب الصالحين ، ويسعى لتمسك بأذيالهم، فهو من أتباع الطريقة الرحمانية والتي تنسب إلى الشيخ محمد بن عبد الرحمان، وقد أخذها عن سيدي يوسف بو حجر، شيخ الزاوية الرحمانية بالكاف.

كما كان والده حافظا لكتاب الله على رواية ورش، متقنا لرسم المصحف الكريم اتقاناً جيداً، بحيث لا يوجد في زمانه من يتقن الرسم مثله في سائر بلاد الجريد، فضلاً عن تفقهه في الأحكام التفصيلية على مذهب الإمام مالك، وإلمامه الواسع بأصول العقيدة الإسلامية على مذهب الإمام الأشعري، مع التقوى التامة وتجنب الخوض في فضول



القول، أو المكوث في مجالس الغيبة والنميمة، بل كان يفضل العزلة والخلمول والاجتهاد في النوافل، على الشهرة والظهور، لذلك كان لا يحب أن يتقدم إماما في الصلوات.

وهو أول من باشر تعليم ابنه يونس فعلمه المبادئ الأساسية المتعلقة بأحوال الدين واللغة وحثه على حفظ كتاب الله وتعهده ليدرس بعدها هذا الشاب اليافع سائر العلوم العقلية والشرعية على أشهر علماء مدينته، ثم قرر في مرحلة لاحقة الالتحاق بمدينة تونس حتى يواصل مسيرته العلمية في جامع الزيتونة.

وقد أتم هذه المسيرة بنجاح وتفوق، فصعد نجمه في سماء العلم والمعرفة، وتحول إلى جهبذ فذ لا يشق له غبار، ولا يدرك لعلمه قرار، في مجالات عدة مثل اللغة والعروض والفقه والحساب، والقران، اقراء وتفسيرا، فضلا عن إلمامه الواسع بالكيمياء والطب وخاصة التداوي بالأعشاب، إلى جانب إتقانه لجملة من اللغات - مخاطبة وكتابة، ومنها العبرانية والتي برع وتبحر فيها، حتى انه ترجم أجزاء من التوراة، وفهم جلّ مراميها، فكان يجادل بعض أخبار اليهود بلغتهم ، ويبين لهم المقاصد الحقيقية لكتابهم، فأفحم الكثير منهم، واعترفوا له بالريادة والأفضلية.

كما كان يتقن السريانية والتركية والفارسية واليونانية، وحتى الفرنسية، باعتبار إدراكه للحقبة الاستعمارية، ف شعر بضرورة الحاجة



لإتقان لغة المستعمر — ليقف على ثقافته، وطرائق تفكيره، ويتبين سرّ قوته.

ورغم اشتغال الشيخ يونس التليلي في صغره بتحصيل العلم، وفي كبره بتبليغه، فإن ذلك لم يمنعه من ذكر ربه، والمواظبة على جملة من الأوراد والأذكار، إذ كان من منتسبي الطريقة القادرية وقد أخذها من الشيخ إبراهيم بن أحمد الشريف.

مما جعل العامة تحبه نظرا لإقباله على العبادة، وظهور بعض الكرامات على يديه، فالكل كان يرجو بركته، أما الخاصة فأجلوه نظرا لغزارة علمه وحدة ذكائه، ووفرة تأليفه؛ إذ ألّف في جميع فنون المعرفة مثل رسالته في التاريخ والأنساب، وكتابه في التداوي بالأعشاب، ورسالته في علم الفلك، ورسالته في قواعد اللغتين اليونانية والتركية، فضلا عن ترجمته لأقسام من التوراة والإنجيل إلى العربية.

وقد توفي هذا العالم الجليل سنة 1939 بمدينة فريانة، بعد أن عاد في آخر عمره إلى مسقط رأس أجداده، ودفن في المسجد الذي اتخذ للعبادة، فرحم الله رجال تونس الأتقياء والعلماء.

فمثل الشيخ يونس التليلي نموذجا رائعا فريدا في تاريخ علماء تونس عامة، ورجال الطريقة على وجه الخصوص، إذ من النادر أن نجد شخصية صوفية، جمعت بين العلوم الدينية والعلوم الصحيحة بدرجة الاقتدار والتمكين نفسها فضلا عن إتقانه لجملة من اللغات والتي يتطلب الإمام بإحداها سنوات طويلة.

وما يثير استغرابي حقا أنّ هذه الشخصية الفذة، لم تلق حظها من الدرس والبحث وظلت سيرة الرجل واثاره طي النسيان، فلم اجد سببا وجيها واحدا، يبرر هذا التجاهل خاصة ان شخصيات اخرى معاصرة له لاقت حظوة كبرى من قبل الباحثين وتحولت الى علامة من علامات الثقافة الوطنية.

فمتى يجد هذا الرجل المكانة التي هو حقيق بها؟ ولماذا لا تخصص وزارة الثقافة او احدى مندوبياتها سواء بالقصرين او توزر ندوة او ملتقى حول هذه الشخصية الاستثنائية؟ ولماذا كل هذا الاصرار في التمسك بعلم واحد دون سواء مثلما هو الشأن مع الشاعر ابو القاسم الشابي الذي اشبع بحثا ودراسة حتى تحول الى صنم جديد في حقل الادب والنقد يمجد صباحا ومساء؟ أليست الارض التي انجبت الشابي هي نفسها التي انجبت يونس التليلي؟ فكيف نحازي التلميذ وننسى المعلم، خاصة ان يونس التليلي كان جهيدا في علوم اللغة والعروض؟ أليس في الامر سرا؟ ام ان الامر لا يعدو ان يكون جهلا من قبل الساهرين على الشأن الثقافي في بلادنا؟.

نرجو من مراسلي المجلة الكرام ذكر  
عناوينهم وأرقام الهاتف ليتيسر لنا  
الاتصال بهم عند الحاجة .

## من أجل شباب يقرأ.. من أجل شباب يبدع

بقلم: نجاح زقية

"خير جليس في الأنام كتابُ"

"الفن وحده عصارة تجربة الإنسان وهو ما يتركه الناس بعد حياتهم (الشاعر العراقي عبد الوهاب البياتي)

من هذا المطلق نعتبر الكتابة عملاً فنياً إبداعياً له علاقة وثيقة

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

بمجالات التربية وصقل المواهب وتنمية المشاعر و تنوير العقل وتحفيز الهمم وهي حجر الزاوية في بناء الثقافة وإعلاء شأن الحضارة وليست فقط مجالاً للوعظ والإرشاد وتلقين الناشئة تلك القوالب الجاهزة أو تعليم حروف الأبجدية. وإنّ الأمم المتحضرة والرائدة في عصرها هي تلك التي تهتم بمخطوطاتها وبكنوزها الثقافية على مرّ الأجيال بنفس درجة اهتمامها بمقدّراتها المادّية و ثرواتها الطبيعية، و هي التي درّبت ناشئتها على العناية بالكتاب و الآداب والفنون وكلّ ما يتّصل بالنواحي الفكرية والروحيّة كعنايتها بالنواحي

الاقتصادية والسياسية، ولنا في عصر النهضة العربية الإسلامية وفي عصر النهضة الأوروبية - كلُّ إبان زمانها - خير مثال على أن إيمان الأمم بالآداب والعلوم وخاصة إقبال ناشئتها وشبابها على النهل من معين الإبداع طريق نحو التألق والإشعاع والريادية الحضارية الشاملة.

ولا شك أن لدى الجميع أطالعا واسعا أو محدودا بالمبدعين الذين أثروا في مجتمعاتهم وساهموا في بناء نهضة شعوبهم - من شعراء وكتاب وفنانين - لن يتسع هذا المجال لذكرهم ولتعداد آثارهم الإبداعية أو لتوضيح مدى فاعليتها الاجتماعية والحضارية عبر التاريخ، ذلك أن الأهم في هذه المداخلة هو محاولة التركيز على تلك العلاقة الحميمة والجدلية ما بين القارئ والمقروء إذ لا تأثير للمخطوطات إذا لم تُقرأ مهما كانت بلاغتها وفنيتها، ولا أهمية لأيّ إبداع لا يتوجّه إلى أكبر شريحة من الناس ولا سيما الناشئة، وفي هذا الصدد لا يسعنا تجاهل حجم التحديات التي تقف عائقا بين الكتاب كمنتج إبداعي ثقافي وبين القارئ كمتلقي أو مستهلك، فالحوازر ماثلة واقعيا والعلاقة الجدلية المفترضة بين الكتاب وقارئه قد اعتراها فتور شديد يُعبّر عنه البعض بـ "أزمة

القراءة" وهي أزمة عالميّة ولكن درجة حدّتها تتفاوت من مجتمع إلى آخر ولعلّ ذروتها تتمركز في العالم العربي المعاصر فليس خافيا على أحد أنّ الإنسان العربي عزوف عن القراءة خارج نطاق المنظومة التربوية منذ عقود طويلة وما فتئ هذا العزوف يتعمّق ويتعاظم، ليرز كأحد أبرز الأسباب التي تجعل الثقافة العربيّة المقروءة تواجه صعوبات غير مسبوقة يمكن أن تعيق تقدّمها وانتشارها وتشل حركة اللغة عن النمو والتطور، وقد يُعزى هذا العزوف الخطير عن القراءة في رأي الكثيرين إلى :

- طغيان الوسائل السمعية البصرية على كلّ جوانب الحياة  
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>  
واكتساح الثقافة الرقمية لمدارك الناس وخاصة منهم فئة الشباب والناشئة.

غير أنّ هذا التعليل وإنّ بدا مُقنعا فإنّه لا يعدو أن يكون مجرّد تبرير لأزمة أو مشكلة لها جذورها وظروفها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية، ونحن في أمسّ الحاجة للنظر إليها من كلّ الزوايا بدل التسليم بالمبررات العامّة، كما نحتاج للإلمام الشامل بها في إطارها التاريخي والجغرافي، لاسيّما مع الناشئة في نطاق الأسرة و داخل المؤسسات التربوية والجامعية وصُلُب الهياكل الثقافية والشبابية حتى



نستبين سبل الحلول من أجل ناشئة تستعيد الرغبة في القراءة وشباب يمتلك إرادة الإبداع الأدبي ولعلّ إحدى هذه السبل المبادرة بطرح بعض التساؤلات التشخيصية والاستطلاعية من قبيل:

- أيها النشء هل تقرأ ؟

- هل الكتاب في متناول يدك؟

- هل تؤمن بوجود بديل للكتاب؟

- ماذا تحبّ أن تقرأ ؟

بأيّ لغة وبأيّ أسلوب تريد أن تقرأ؟

- ما المطلوب - في نظرك - من المحيط الأمريّ ومن المؤسسة

التربوية والثقافية - في حال عزوفك عن القراءة وانقطاعك عنها-

ما المطلوب ليتمّ تقريبك من عالم الكتاب وليتيقّظ فيك الشوق

للإبداع الأدبي؟

إنّ مثل هذا الحوار حول ظاهرة العزوف عن القراءة وبشكل

مدرّوس وبنسق أطرادي قد يثمر على الأقلّ فهمًا للمشكلة وقد

يؤدّي إلى الإحاطة بالأزمة على أمل أن تُستنبط الحلول وتُعرف

المخارج.



## إليك يا مدرستي

بقلم الأستاذ : يونس أحمد اليهي

{هذه الخواطر مستوحاة من زيارتي إلى مدرستي "النصر" (الجمهورية حالياً) بسليانة ومن القشعريرة التي انتابتني عند طوافي داخل الجدران وبين الصفوف رفقة أخي وصديقي ورفيق صبايا حسن الرفاعي. إنها سنوات الصبي وحقول "النقيش" التي كانت تحيط بالمدرسة}

أتحامل على أفقي... أستدير النظر... أتقدم وبعد جهد... وبعد  
تعب أجدي أدقّ قدمي... يمسمرني ردهة من الزمن ثم يبدأ في سحبي..  
فأنساب في لذة وسهولة وسرعة...

يتناقل عليّ عنقي إلى خلفي... وتجذبني قوّة أعرفها ولا  
أعرفها... عرفتُها في فترات اللاوعي وسنوات الغيوبة الحلوة...  
تجذبني... تؤسرني... ويضيق أفق كنت أظنّ أطرافه لا تحدّ... وأجدي

لا أرى إلاّ بياضا مكعبا مستطيلا مستديرا متداخل الأضلاع... ولا  
أرى إلاّ متسعاً طويلاً تقسم البياض... تنظمه... ولا أسمع إلاّ همسا  
ملحاً مسترسلاً يعلو إلى نبرات متّزنة النغمات غريبة الصفاء...  
أغمض العينين فأرى بأكثر نصاعة وتجزئة واتساعاً. أسدّ أذني  
فأسمع بأكثر وضوحاً وصفاء.

وكلما حاولت تحديد مكاني وزماني وإطاري ومحيطي لا أجد  
إلاّ كلمة واحدة تأخذني فأحتضنها... تشربني فأبتلعها - تهدد ذاكرتي  
فأنام في منعطفات حروفها... تملي عليّ آمالي... وتبرمج لي أحلامي...  
تحدّد اتجاهي في أخطبوط بين الشعاب المتداخلة المتضاربة... وتدفعني  
فأسير... أمشي إلى أمسي.. **تطالعني في زرقة الأفق** وفي اخضرار سنابل  
أفريل... وبياض حمائم الفجر على مشارف الوادي... تبرز لي حروفها  
فأيقن ألاّ نظام إلاّ نظامها وألاّ تناسق إلاّ تناسقها ولا يمكن أن يتقدم  
حرف منها عن حرف وأن ترتفع نقطة منها عن أخرى... "المدرسة"  
أقرأها بشراييني وجوارحي وقشعريرة جلدي وارتعاش فرائصي  
فأشعر بصدري يهتزّ ونفسي يصبح لهيئاً وأحشائي ترتجف... "المدرسة"  
مدرستي - مدرستي... إليك أحلى ما تعلّق بغصون ذاكرتي من  
رحلة لا أكاد أحدّد لها بداية ولا أكاد أستشفّ على مدى ردهاتها  
وصدماتها ومدّها وزجرها آية نهاية...

أترامي كتلة من الماضي تدحرجني ملايين الصور وتصعد إلى  
سمعي ملايين الأصوات أقف وسط شارع لا أرى فيه شيئاً إذا حدّقت

وفتحت وأدرت النظر... وأرى كل شيء بكل التفاصيل وبكل الألوان  
وبكل الحنايا والأجزاء إذا أغمضت...

يدفعني - يرفضني - يحدّق هو في شكلي ويحاول أن  
يسترجعني... ولكن الهوة بعيدة - عميقة - فسيحة - حفرتها أيام  
وأشهر وسنوات وعقود صار تعدادها مخيفا مفزعا...

ألف يسارا وأحدّد مسارا وأتجه غربا... أمشي إلى مدرستي أبحث  
عن خفة في قدمي عهدتها هذا الطريق فلا أجد إلا ثقلا يمسمرني أرضا...



أحاول استرجاع رشاقة وعدو وضحكات مقهقهة رثانة فأصطدم بوجوم  
وجدية.. وصمت... وأشعر في ثنايا لهاقي بطعم مرارة طبختها اللامبالاة  
التي تزيجني كلّما تقدمت وتحقنها في حلقي إبر حاضر يلسع إذا لمس ويصفع  
إذا داعب... أثبت - أتشجع... أتجلد وأواصل شقّ عباب الطريق...

أسير إلى الأمام متحاملا على كل هذه العناصر الزمنية الطبيعية  
النفسية... إلى أمام لا أعرف أنني أعرفه جيّدا... أمشي أمامي راجعا



خلفي... أنظر إلى ماض بعيد أرى فيه أشباح شكل بعيد بعيد يوما  
بعد يوم... يطمر يوما بعد يوم... يزرح تحت عبء السنوات... ويحي  
في لمح البصر... أشقّ الشارع نحو مدرستي... تشقني كل خطوة  
أخطوها تشطرنى وتمزقني وتلهب حنيني... كنت أراها على بعد  
أميال... أشقّ شارعاً أظنه الشارع ولكنني أيقن بمرارة أنني لا أعرف له  
بناء ولا دخانا ولا سياجات حدائق.

أنظر يمنة ويسرة فأحطم كل ما بنته الأيام بعدي... أنظر يمنة  
فأمسح الديار والخوانيت والمستودعات وأقلع الكراسي من مقاهيها  
وأضع مكانها حقولا خضراء من الشعير و"النقيش". أنظر يسرة فأمسح  
كلّ الطوابق بشبايكها وزجاجها وثقلها... أتعثر في كشبان من  
الذكريات في كل خطوة... كل لمح بصر يجمدني... يجزؤني... يرجّ  
جسمي.. يرعد فرائصي... يرفج جلدي... يفجر شراييني عرقا عرقا  
ويقلص تجاعيد غريبة في وجهي...

وفجأة أجدني أمام الباب... فأهتز اهتزاز من انفجر في قلبه لغم  
... يجمد لساني وتصطك أسناني وتصمّ أذنايا وتتخشب يدايا وتنغرس  
رجلايا في الأرض وترتجف كل مفاصلي وتتدفق عينايا.

لا أدري شيئا ممّا حصل بعد هذا.. دخلت أو ما دخلت... لا  
أدري شيئا ممّا جرى وهنا تشلّ أصابعي ويتوقّف قلبي عجزا وجبنا  
وخوفا... وأملا.





## تعلق عن زيارة صديق

بقلم: حسن ظاهر الرفاعي

عندما تثاقل عنق صديقي الأستاذ يونس أحمد اليهبي رئيس قسم اللغة الفرنسية بالمعهد الأعلى للغات بالدوحة - قطر "عاشق الذكريات" كما يحلو لي أن أسميه، إلى الخلف أثناء سيره. عندما أراد المشي إلى أمسه وإلى مدرسته قصد زيارتها لم يعد يرى مدرسته "النصر" (الجمهورية حالياً) بسليانة مثلما كان يراها من قبل فقد خبأتها البناءات الكثيرة المتلاصقة التي غطت السهول الخصبة التي كانت تقع في وسطها المدرسة.

فكان صديقي [يمشي أمامه راجعاً خلفه ينظر إلى ماض بعيد] يؤنسه، فكان يودّ [مسح الديار والخوانيت والطرق والمستودعات ويقلع الكراسي من مقاهيها] ويمتني نفسه بعودة [الحقول الخضراء من الشعير و"النقيش"] التي كانت تحيط بها.

هكذا سرت مع "عاشق الذكريات" صديقي العزيز يونس نحو المدرسة وهو [يتعثر في كتبان الذكريات] من جرّاء هذه الزيارة التي عادت به إلى الوراء إلى ما يزيد عن أربعين سنة، تقدّمنا في اتجاه المدرسة، وشقّ صديقي الشارع، وعبرته معه في اتجاهها [دون خفة في

الأقدام عهدها هذا الطريق] فوجدنا الباب، إنها المدرسة "النصر"،  
"الجمهورية".

صديقي يا "عاشق الذكريات" أيها المكبل بالحبّة والحسرات  
وصداقات الرفاق المنتشرين هنا وهناك داخل هذا الوطن العزيز  
وخارجه، وفي سهول سليانة المنبسطة ككفّي وكفّك.

فهذه المدرسة بساحتها وجدرانها وحديقتها وفصولها تعرف  
جيداً وجد المربين والتلامذة الذين مرّوا بها - فلمن تريد إحياء تلك



الذكريات بمسحك للديار والخوانيت والعمارات الطفيلية في نظرك  
لاسترجاع اخضرار الحقول والمزروعات التي كانت آنذاك، لتبرز من  
جديد تلك المسارب والثنايا والمسالك والطرق المؤدية إلى مدرستنا  
من كل حذب وصوب؟ فهل ستعيدنا إليها ويرجع من زماننا ما قد  
فات؟ وهل ستنفخ فيها وتعيد لها الحياة؟ وهل سترجعها حقاً، وتعيدنا  
إلى عهد الصبي والذكريات...؟! !

ففي الواقع يا صديقي إنك لا تقدر عن إزالة تلك البناءات ولا حتى عن التصدي وردّ الهجمات، فما حدث خلال هذه السنوات من انفجار عمراي اكتسح السهول الخصبة المنتجة التي كانت تحيط بالمدرسة، لا زال هذا الانفجار يزحف وهيئات هات...!!!

لكن ذكرياتي يا صديقي وذكرياتك وذكريات الرفاق المرتبطة بالمدرسة ومحيطها سيبقى شذاها عالقا بهذه البناءات والشوارع والطرق والفضاءات وسيستنشقها من بعدنا الأبناء والتلامذة وبعض زملاء الدراسة الذين شغفتهم هذه المدرسة.

يا أخي يونس، أرجوك اترك ما أحاط بمدرستنا ففيه حماية ومصلحة لها ولنا، ولا تسه عنها واكتف بزيارتها ولو مرة في السنة، إنها أمنا لقد أرضعتنا فيضها حتى صرنا لها من أوفى الأوفياء.

ولعلّ هذا ما جعل صديقنا الأستاذ الشاعر عمر عبد الله الكتراري يخاطب مدرسته قائلا :

رعاك الله مدرسة وأما \*\*\*\* فأت الأمّ ما خفت قلوب

صديقي يونس ها أنا والزملاء في انتظارك لنسترجع معا طفولتنا والذكريات ...

هوامش :

ما بين معقّفين [.....] عبارات وردت في مقال الصديق الأستاذ يونس اليهي  
(- أمشي إلى أمسي ... إليك يا مدرستي ...) بهذا العدد من مجلة الإتحاف.

## ن.. ووجهك الغارب

2

شعر: بشير ضيف الله

(10)

كالتواعير قاتلني سيفها،

والحكاية لا تنتهي عند قتلي

كما امتدّ هذا الخواء..!



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

أو كؤوسا تشاطريني فخب التبغ،

أم جسداً من رجاج تكسر

في لحظة للتعري المخيف!!

العراء... العراء

سكن للحفاة العراة المجانين

في بلدي

من ورق

.. فرس يتقصف آثار

سيدة العاريات

وقافلة من لفائف تبغ مكورة..

حرقه كاللظى... وجهها الساحليّ

الذي يتقشّع أبهة

يشتهي سكنات الغياب!!

الهروب.. الشوارع.. الانتظار

ملاجئنا.. كانتحال الوجوه

وأشواقنا تتبدّد

في هب الأمكنه!!

(11)

نقطة البدء أنت.. ولي نكهة المنتهى

أبدئي كيف شئت... فلي طقسي المشتهى!!

ها أذاك حديث اللّوائى تسمّسن

في معبدي

وتعريّن كالشّمع... أزمنة

والتحفن القصيدة

دون رداء!!؟

المسامير مصطفة كلّها

في دمي

حيث توخزني... أو تكاد



وحملت قميصي الذي يتوعدني ... وجروحي

إلى حيث بادءني نشوها

أُتبرّك بالسيدات،

قالها الشّاعر العربي:

حيث شئت من الحبّ نقل فؤادك

ما القلب إلّا.....

لأوّل قلب!!

موغل معبدي في الغموض،،

لا التعاويذ في تيهتي ضوآته

لا الفضاءات،،

موغل دون حدّ....

خلوة في سطور \*\*\* دون أيّ أثر!!

والمدى خيم \*\*\* غاب وجه القمر!!

كيف تنتشرين \*\*\* في شروذ النّظر؟!!

كيف تنمو الورد \*\*\* دون أيّ مطر؟!!

كيف.. كيف النّماء \*\*\* إن عشقت المفرّ؟!!

.. مدن كالخراب \*\*\* دونك.. والممر!!

والضياع.. الضيّاع \*\*\* قلق في سقر!!



## كُنْ رَحْمَةً لِلْعَالَمِ

شعر : عبد الباقي اليحياوي

قُلْ آمَنْتُ بِاللّهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ      وَكُنْ لَطِيفًا رَحْمَةً لِلْعَالَمِ

وَعِشْ وَدِيعًا بُلْبُلًا تُرْتَمًا      وَلَا تَعِشْ عَقْرَبًا سَاعِيًا لِلْأَلَمِ

وَكَنْ خَلِيفَةً لِلّهِ فِي أَرْضِهِ      وَحَارِبَ نَاصِرِي الظُّلْمِ وَالظُّلَمِ

مَا أَرَوْعَ أَنْ نَقُولَ الْحَقَّ وَنُنْصُرَهُ      وَنُنْشُرَ الْعَدْلَ بَيْنَ سَائِرِ الْأُمَمِ

مَنْ يَنْصُرِ الْحَقَّ إِنَّ اللَّهَ يَنْصُرُهُ      فَيَشْعُرُ بِالرُّوحِ، لَا بِالْخِزْيِ وَالتَّذَمِّ

وَمَنْ يَنْشُرِ السَّلَامَ إِلَى الْعُلَى يَرْتَقِي      وَمَنْ يَنْشُرِ الظُّلْمَ إِلَى الدَّرَنِ يَنْتَمِي

تَوَلَّمِ الْعَقَارِبُ الْكَوْنَ بِسُمِّهَا      وَيُمْتِعُهُ الْبُلْبُلُ بِاللَّحْنِ وَالنَّغَمِ

مَنْ يَعْشَقِ الْأَلْحَانَ تَسْمُو رُوحُهُ      وَمَنْ يَعْشَقِ الْأَذَى فِي جَمْرِهِ يَرْثِمِي

جَمَالَ الْكَوْنَ فِي جَمَالِ تَعَامُلِنَا      وَقُبْحُهُ فِي الْفِعْلِ الْمُرِّ كَالْعَلَقَمِ

يَقْضِي الدَّوَاءَ عَلَى الْأَغْلَالِ بِنَفْعِهِ      وَتُرْوَدُ الْحُمَى الْجِسْمُ بِالسَّقَمِ

هَذِهِ الدُّنْيَا أَحْوَالُهَا مُتَقَلِّبَةٌ      بَلِيغَةُ الدُّرُوسِ بَلِيغَةُ الْحِكَمِ

دُرُوسٌ أَحْدَاثُ الدَّهْرِ تُنْجِزُهَا      بِأَمْرِ اللَّهِ الْقَاضِي، الْحَكَمِ

يَسْتَخْلِصُ الْعَاقِلُ مِنْهَا عِبْرَةً      وَيَتْرُكُهَا الْجَاهِلُ الَّذِي لَمْ يَفْهَمْ

لَقَدْ نَفَى اللَّهُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِهِ      وَتَوَعَّدَ الظَّالِمَ بِالنَّارِ وَالْحِمَمِ

أَنْصَحُ بِالتَّقَاءِ اللَّهَ وَنَفْسِي أَوَّلًا      وَفِعْلَ الْخَيْرِ وَالنَّاسِ لَا وَلَنْ تَظْلَمَ

وَبِالْأَمْثَالِ اعْتَبِرْ وَكُنْ مُسْلِمًا      إِنَّ الْمُسْلِمَ رَحْمَةٌ لِلْمُسْلِمِ

وَلَا تَغْتَرَّ بِالدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا      كُلُّ مِنْهُمَا سَائِرٌ إِلَى الْعَدَمِ

مَنْ ظَلَمَ النَّاسَ وَسَرَّهُ الزَّمَنُ      مِنْ بَطْشِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ لَمْ يَسْلَمْ

إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ وَسَنَةَ الْأَمْجَدِ      حَسَامٌ مِنْ سَلِّهِ لَمْ يَهْزَمْ

وَعُرْوَةٌ وَثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا      وَعُرْوَةُ السَّلَامِ لَمْ تَنْفِصَمْ

## لنغنّ من أجل عالم أفضل

شعر: الحبيب دربال مركز والي-صفاقس

اقتباس: عن نص لـ: توني سيّاراً Tony Sierra -Hondaras-

### المقطع 1

نحن جيل يتغنّى بالحقوق العالميّة

ويرى الحقّ جليّاً في عيون البشريّة

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ذلك حق مكتسب

وكذا العيش الهني

في حقوق السّكن.

### المقطع 2

نحن جيل يتغنّى بالحقوق العالميّة

ويرى الحقّ جليّاً في عيون البشريّة

حقّنا في اللّهُو عيد

والغناء فنّ مفيد

وكذا الحرّية... مبدأ ومنبت

نحن عنها لا نحيد.

### المقطع 3

نحن جيل يتغنّى بالحقوق العالميّة

ويرى الحقّ جليّاً في عيون البشريّة

هو ذا العلم سراج فلنثابر صامدين

وكذا الصّحّة تاج يعتلى كلّ جبين

ولنقلها صامدين:

أبدا تحيا الكرامة فهي أمن وسلامه

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وهي تدعونا جميعاً أن نكون مخلصين

### المقطع 4

ساعدونا يا رفاق آزرونا باشتياق

حافظوا أيضاً علينا ثمّ قولوا يا رفاق

كيف نمضي في طريق مستقيم

نبذل الجهد ونأمل

أن يكون الغد أفضل

وافر الخير عميم.



## المقطع 5

نحن جيل يتغنّى بالحقوق العالميّة  
ويرى الحقّ جليّاً في عيون البشريّة

أن نحبّ... أن نحب

واجب نحن نحب

فلنكنّ دوماً عيوناً ساهره

ونغمي بالواجبات شاعرة

ولنردد فتيات وبنين

ARCHIVE

<http://Arghivbeta.63khrit.com>

"أدخلوها بسلام آمينين"

إنّها عين السعادة

فلتذوبوا في السعادة

## المقطع 6

نحن جيل يتغنّى بالحقوق العالميّة  
ويرى الحقّ جليّاً في عيون البشريّة

نحن جئنا نتعلّم

نفهم الدّرس وننعم

نضمن الفوز العظيم

وحياة-قد أردناها- سليمة

فلتكن- فعلا- سليمة.

## المقطع 7

نحن جيل يتغنى بالحقوق العالميّة

ويرى المقّ جليّا في عيون البشريّة

مثلما كنّا نكون طيّبين

واحترام الغير فينا كاليقين

إخوة نحن وعزم لا يلين

ARCHIVE

<http://www.archivebaa.sakd.it.com>

فلنقل يحيا السلام  
وكذا الحرية رمز النظام.

## المقطع 8

ساعدونا يا رفاق آزرنا باشتياق

حافظوا أيضا علينا ثمّ قولوا يا رفاق

كيف نمضي في طريق مستقيم

نبذل الجهد ونأمل

أن يكون الغد أفضل

وافر الخير عميم.

## في الذكرى

شعر: عبير بوكحيل

لا الامل اهلي ولا الاخوان اخوان

يا شاعر الخضراء ما لي غير احزاني

فاليوم اهديك في عليائك مرثية

تعيش وتزهو بها في العالم الثاني

طغى بها الدمع حتى **كاد يغرقني**

ARCHIVE

وغربة الهم حتى ذاب جثماني

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

في كل يوم مصاب وقتلى واسى

كانني المبتلى وحدي بأشجاني

أبكى على امة مشلولة عجزت

على ان تصون حماها من أذى الجان

فاصبحت رياح العجز تدفعها

فريسة لشعابين وذئبان

الناس تلهو بصاروخ وطائرة

ونحن نلهو باوتار وعيدان

ويفخرون باذهان مفكرة  
ونحن نزهو باحجار واكفان  
هيا قم واشهد هزائمنا  
واصرخ معي بقصيد احمر قان  
وفجر الدمع في عينيك في اسف  
على فلسطين او مأساة الافغان  
الحق ضاع فمن ذا يستعيد لنا  
حقا تسرب في أحشاء حيتان  
في كل يوم لدين الله مذبحه  
والعرب في حرب احقاد واضغان  
اني افتح عيني حين افتحها  
ولا ارى غير تزييف وبهتان  
متى ارى العرب اسدا مزجرا  
يصون عرضه من كل عدوان  
في عالم الغاب والذئاب جائعة  
لا يسلم الحق من ظلم وطغيان



## مراث..

### على أجنحة الذهول

شعر: صفاء ذياب

الليل فرّ من يدي.. والصباح بعيد

على أيّما مركب سأطفو بباحة دارى؟

حينما خرجت...

وجدت المساءات على المشانق مترفات

والنجوم التي لم ترتديها السماء

ارتديها المنافي

خاوية من المرايا والضياءات التي

نثرت أطفالها بوجه اليباب.

تركت الأفاعي ترتدي (عصابة) أمي

والسجائر التي ما عادت سوى رماد

نثرها الرياح.. فنذهل..

أصعد السماء.. لأجمع الغيوم.. فتفتق

هذي السماء..



مفتحة أبوابها بين أناملني  
يخرج كل الأولياء واحدا واحدا  
لزوج النجوم من طريقي  
ساريا فوق الليل..  
أنثر البرد على أمي المكونة وسط اليابس  
أتضرع للفراغ القاطن بين الغيوم  
لأخلق من السديم نعشا  
يلف أجزاءي المائلة للشمالة.  
أنا الورد،  
ما إن غفوت حتى تكوم الكون كالندى عليّ  
أفتح عيوني  
فتهب عاصفة من الزنابق  
تخرج الصباحيات من شفاهي  
عشرون قرنا من الفراغ  
تترع الحكايات فوق رؤوس آبائنا  
حتى أصبحت الحمولات التي يكرعوها أساطير..  
والموانئ التي يجبنون بها جيوبهم

ثكنات العبيّ المحمرة من خجل الجنون.

هكذا,,, أتأرجح

ممسكا بالشمس

أرى الغابات ملطّخة كأنها بقعة دم

بين يدي طفلة تدارى لعبتها

وتخبّؤها من المقصلة,

والخيطات التي اجتمعت لمسح الملكوت

بفيضانات يخبّؤها الإله...

والصحارى التي تطمس بين فخايعها الألواح.

أصرخ منذ اللقائف...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وحبلي السري الذي لما يزل يسحب سرّي

ومن ثنية أمي... وهي تخاف عليّ من المذابح

والهتافات التي تملأ المدينة...

(أدنو.. كلّ شيء مبعثر هنا.. وأنت نظام

الملكوت الفائض عن حاجته كلّ الينابيع والعصافير التي

بلّلت أردافها دما منذ الزغب الأصفر, والأشجار التي

حقنت الشمار لئلا يختطفها المدار, التي تعكس

المرايا والهتافات التي مسخت كلّ الضجيج,

والنرجسيات انتي لبست الحداد على أول بياض  
يخنقه الهباء.

أدنو.. كل شيء تيه.. وأنت طريق..)

النهار مبرقع بالدخان

تعبر كل السفائن والمراكب تحتي

وأنا متجمع كأني كروم يخمرها السكارى

الأرض شق تائه بين المراثي

والسماء مبللة بالدموع

ARCHIVE

هنا قمر وسط عيوني

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

ينتظر الشمس وهي تحمل أطفالها

هنا نجمة تتلألأ بين شفاهي

ضيّعت كل الملامح والتواشيح التي أسبلت عيونها

وأنا كون يحمل أسماه..

حبسيتي التي تمنح القبلات لكل زائر

مدينتي التي تركت جنائنها بين الخراب

مئذنتي المائلة حتى إشعار آخر للغروب

كلّها.. كلّها.. تنأى

## الملاحم الغربية

بقلم : محمد بن علي

- غدا سترجع إلى القرية ؟ ...

- نعم ...

- ولماذا ؟ ...

- هكذا ...

وأدارت وجهها ... وتذكرت في تلك اللحظة رائحة المطر...  
وشعرت بالألم في أعماقي... ولم ألتفت إليها... كان المساء ينشر  
ظلاله القاتم فوق المدينة... والسير يرمي بنا في طرقات ملتوية وفي  
منعرجات عميقة...

وتهافت صوتها من جديد ...

- كلا ...

- لقد شعرت بالبرد أثناء الدروس فلم أنزع معطفي

- ماذا يهمني ...

- أنت عنيد... لماذا ؟ ...

لأنك ثرثارة... لأنك ككل النساء... وحدثت في الفراغ...  
وتذكرت شيئا لا قيمة له طرحته من ذاكرتي... ونحن نسحب

خطواتنا على الرصيف كالأطفال الكسالى... مازالت المسافة بعيدة... وتذكرت أني بلا محفظة لأنني كنت أحمل كتي تحت إبطي... وأخذت من يدها المحفظة وحملتها... واليل ينهي ترحاله بعد سفر طويل... والغرفة تزوي في زقاق ضيق...

- أنت حزين...

- ربما...

- أنا أشعر ببعض الحزن هذا المساء...



- أنها خواطر مبهمة...

- ولكنها تلتقي في نقطة واحدة...

- إن البرد والحزن شيء واحد عندي...

- البرد والحزن يجعلاني أشعر بالوحشة...

- ولكن معطفك يقيك البرد...

- إن أمي هي التي ألحت علي لكي أحمل معطفي حتى لا أشعر بالبرد...

وتنكرت أمي التي بيني وبينها جبال شاحبة كالخيال... ومتاهات فراغ كالحال... ولو كانت معي لأخبرتني على حمل معطفي قبل ان أخرج... أذكر أنها كانت تسهل ليالي الشتاء الطويلة لكي تخطط ملابسنا البالية... وأنا أصطاد النوم بخيل غريبة وأبعد عني القطة الوحيدة التي أثر فيها البرد...



وامتد الطريق أمامنا... وشعرت بالأسف في أعماقي  
واكتسحتني الرطوبة الخانقة التي تملأ غرفتي الضيقة قبل أن أصل  
إليها... امتد بصرها وحدقت في قطعة هزيلة تعبر الشارع المقفر...  
- أنت تفكر ؟ ...

- ربما ...

- فيما تفكر ؟

- في الغربة ...

- أو هل أنت غريب ؟ ...

- أكثر من غريب ...

وزرعت كلماتها في أعماق نفسي ألوانا باهتة لا قيمة لها... لو  
لم يكن طاب المعرفة... لما شعرت بالغربة... الغربة شعور بالتلاشي  
واللاشيء... أما هي فليست غريبة لأنها تقطن هذه المدينة وهي  
موطنها الأصلي...

- ولكن لماذا يطلبون منك الرجوع بسرعة ؟ ...

- ربما كان أبي في حاجة إلى ...

- ولكنه بالأمس كان معك ...

وشعرت بفراغ في قلبي وفي ضلوعي... ونسجت أصابع الوهم  
القديمة حكاية حقيرة في ذاكرتي... أتى أبي بالأمس وتذكرت  
وجهه المورم وهو يمتد نحوي في حنان... ومزقني الألم... لماذا أنت

هكذا؟ ... تخرج الكلمات من صدري ... وأسند ظهره إلى الحائط  
ولهثت بشدة وامتلات عيناه بالدموع ... دموع المرارة ... وحدثني  
عن أشياء كثيرة ... ولم أفهم منها إلا آلام المرض الذي يعانيه منذ  
شهر ... وانكمشت ملامحه ... وحقق في رأسي بحنان ...

- لماذا لم تخلق رأسك ؟ ...

- لم يكن عندي مال ...

ومد لي يده ... كان فيها أكثر من الحاجة ... ورفضت ...  
لأن القليل يكفي ... ولأنه في حاجة أكثر مني ... وألح علي ...  
فقبلت تحت توسلاته الصامتة ... وحدثته عن الدراسة وعن غرفتي  
الضيقة ... وعن جيران الكرماء ...

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ورأيت في عينيه لون المرارة ... وكنت أقول لماذا حملت  
نفسك مشاق السفر ؟ ... وتلاشت كلماتي قبل أن تصل إليه ...  
ومد على يده وهم بالقيام ... وتقاطرت من مدى عينيه ملامح  
الموت ... لا ... بل دموع الموت ... وقلت : "لعلها ملامح غريبة لا  
صلة لها بالموت" ... ورجع أبي إلى القرية ككل مرة ... وتدفقت  
نظرات الاستاذ وهو يتصفح الوجوه ... وعثر على ملامحي الحزينة  
فلاحت من عينيه نظرة حنان ...

والريح تعوى بين الأزقة كالذئاب الجائعة وتراقص صوتها برهة ثم

تخافت :

- ألا تأتي لمتزلنا ؟ ...

- لا أعتقد ...

- لماذا ؟

- لأنني سأستعد للرحيل

- وتترك الدروس ؟ ...

- لم يبقى إلا يوما لعطلة الشتاء ... و ...

- وماذا ؟

- وهذه الرسالة المفاجئة جعلتني أشعر بالبرد ...

- ستشعر بالبرد أكثر عندما تعود للغرفة وحيدا ...

ARCHIVE

- ربما ...

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

ولفنا الصمت وافترقنا... إنها تشعر بالدفء والطمأنينة في

أحضان أبويها... اما أنا فكنت أشعر بالبرد والوحشة، وحشة

غرفتي الضيقة عندما أمضى في مراجعة الدروس... وكثيرا ما مر بي

ابوها وأنا منهمك في إعداد بعض التمارين الكتابية... فيحيي ثم

يتأملني ويمضي... ولم ادرك كيف وقف ببابي هذه الليلة وأحاطني

بنظرة من حنان... " لو اتيت إلى المتزل وراجعتما دروسكما معا

بجانب المدفئة" وذهبت... والليل كال دخان الأسود... وفي المدفئة

تتلاعب ألسنة نار لعبوا طروب وتبعث في أوصالي الدفء

والطمأنينة ورأيتني أحرق في الفراغ... الفراغ جاف كألوان لم

تخلق... ومن المدفئة تطل ذكريات حزينة في جفونها الكثير من  
 الماضي ومن بين أشعت اللهب تتراقص ملامح مجهولة... ومن تلك  
 الملامح تثب خواطر غريبة تتلاشى في مسالك الصمت... ونسيت  
 أنني سأسافر عند الفجر... وأن الحافلة قد أخذت بعد تثرثر في  
 طريق وعرة مهجورة... والجبال تتأب... وتحقق... وتذكر...  
 وأنا أجرع الألوان الضبابية من النافذة المحطمة... وشيء غبي متمرّد  
 يثب من كياني ويحطم مقاييس الزمن وأمدّ يدي وأردّه إلى مكانه  
 ليتحلّى بالصبر ويعرف قيمة الانتظار... هذا هو منزلنا... جمع  
 حاشد يتناثر حوله... نخب ونواح يمزق مسمعي... والريح تعوي  
 في الدروب... وتعوي في أعماقي... لم أكن أبكي... لم أكن  
 أتألم... ولكن في فؤادي نزيف وجراح... هل مات أبي ! ...  
 سوف لا يموت أبي ... وسقط من كياني شيء كأنه المصير  
 وسقطت على إثره يداي كما تسقط الدمعة من جفن الحزون...  
 وشعرت كأن الوحل على شفتي والخصى تحت ضلوعي والدم  
 يرسم دوائر مبهمة على صفحة الفراغ... ومن الغد عدت إلى  
 قرينتنا... وقد مات أبي ...

## حديث السفر

### قصة: عفاف العبدلي

كالعادة في انتظار الحافلة تجلس فتاة فوق المقعد تنظر إلى الساعة فوق الحائط المقابل لها، كم يقلقها السير البطيء للساعة المنتظرة، تمر الثانية تلو الأخرى أمام ناظريها متحدية صبرها الذي ينفذ بسرعة ومتحرشة بذاكرتها المليئة بأشرطة الذكريات المتناثرة على سطح قلبها الذي تجاوز حدوده المرسومة داخل صدرها بشرايين دموية إضافية فبعد أن امتلأت شرايينه من ينبضه المتزايد لفترة طويلة فاض وعأؤه الصغير فلم يجد أوعية إضافية يخزن داخلها هذا القدر الهائل من عواطف الحب التي تتضخم بتزايد ألمها وللمرة الأولى تعلم أن هذا الألم الذي يسببه الحبيب اللئيم المغرور سببا في حبه أكثر فأكثر فهو الحبيب الذي طردها من حياته لأنه يرفض أن تتحول الصديقة المقربة له إلى حبيبة سحبته صدفة الحب نحوه بدون إرادة منها بذلك وهي تعلم أو بالأحرى علمت منذ أن دخلت زمن امتحانها أنها لم تكن لحظة تقدر عمق إحساسها غير



اعتراف طفيف بوجوده من خلال خياله المصاعب لظلمها أو أمام صورته المرسومة في وجوه غيره من الرجال أو إقرارها بتجربتها للحب التي تعلن بمؤشرات ظاهرية معروفة وعوارض معلومة، أما الآن تعي بكامل وعيها الدماغى أن لهل قلبا سيؤرخ رواية عشق لم يكتب مثله التاريخ سابقا في أساطير الغرام وكأنه سيؤسس مخططا جديدا لحضارة بأكملها تبني لمستقبل غائب داخل حاضر فاسد نسيت دولته تقاليد هيكلها وسنت قوانين معارضة لهذا الوهم، فالحب وهم بالنسبة للمجتمع وحلم كل فتاة في كل لحظة يأتيها بحسدا واقعا كل ليلة.

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

تتضخم الأصوات من حولها فتجد القاعة امتلأت بالمسافرين المارين من أمامها وهم يدوسون على الأرض ذهابا وإيابا، تعيد الالتفات للساعة فتعلم أن وقت شرودها قرب سفرها فتستقيم بحسدها واقفة لفتخطو نحو الحافلة، عند الوقت المحدد أو ربما قبله بثواني صغيرة إذ لم تعود الساعة أن تتطابق مع غيرها من الساعات إذ لابد من تنافس يشكك كل منها في مصداقية الأخرى لترى تراحم إظهار حقيقة الزمن من خلال الساعات قبل الشهر والسنوات والقرون..

تركب الحافلة فتجد حسن الحظ بإيجاد مقعد شاغر قرب النافذة، يتباطأ محرك الحافلة بالعمل في البدء فيتضاءل صوته أمام أصوات الركاب الائي إن تنافسنا مع صوت أضخم معدات حرب متطورة تقنيا بأحدث التكنولوجيا عالميا لربح هذا الصوت باختلافه، فتسمع قصص اليوم أو تسمع موسيقى مقززة لذوق سخيف بأغنية منفقة لا تشبه المزيفة، فقد أهدت في عصر تطرب الأذن الطر شاء فتطرب مستمعها وتبهجه بسعادة يتراقص معها جسده في خفاء وانفراد من وراء بقية الأشخاص من حوله وكأنه ييغض غيره مشاركته مصدر بهجته خاصة وقد وضعت خيوط لاسلكية متصلة مباشرة من الجهاز نحو الأذن.

فمن ناحية أخرى تسمع حديثا بين شبان، تسرق الكلمات المبرجة من الأفواه فتعرف أن الموضوع يتمحور حول لاعب كرة قدم أخذ إلى المستشفى بعد تعرضه لضربة جلدية بساق يسرى من قبل خصمه في الفريق الآخر خلال مباراة اليوم السابق، إصابته خطيرة فقد تسببت في بروز جرح طفيف بالجلدة خرج منها بعض قطرات الدم ولم يتغير لون البشرة السمراء مما ألزم الفريق الصحي الموجود تحت حالة الطوارئ أن يقوم بإسعافاته الولية بلحف مكان الجرح بغطاء معقم وأخذ الطبيب الشرعي ينصحه بالذهاب إلى المستشفى لكن اللاعب المتضرر لن

يسكت على إصابته فقد أعلن في حوار صحفي بتوعده بالانتقام في المباراة اللاحقة وأن إصابته البالغة ستكون لها الفضل في حماس أصدقائه وتحقيق النصر في ربح المباراة والمرور نحو النجاح مستقبلا في دوريات لاحقة. بعد ذلك تسمع نشرة إخبارية من أحد الشبان باستعراض شخصية اللاعب في الماضي لم يغادر فريقه الجهوي ولم يشارك في مباريات وطنية ولم يمسك كأسا واحدا من كؤوس البطولات الدولية وهو الذي يربح مع فريقه مباراة من ضمن مجموعة تحت وقع الصدفة أو ما شابه ذلك.

بعد عدة دقائق يقف مراقب التذاكر أمام الركاب الواحد تلو الآخر لفحص تذاكرهم والتويل لمن يحاول استهماله بتداعيه امتلاك التذكرة وعند الطلب يتظاهر بعدم إيجادها أو ضياعها بينما تكون الحقيقة أنه لا يملك مبلغ التذكرة فيلتجئ إلى الكذب... عندها يثور غضبه مستخدما الشرعية التي خولته له وظيفته معربا عن امتعاضه من مثل هاته العمال المجاوزة لقانون الدولة من خلال قوانين وزارة النقل والمواصلات متعمدا إبراز قوته بالصياح وألفاظ اللوم والعتاب مدعيا تطبيق القانون بينما تكون الحقيقة خلاف ذلك فهو يحاول في ذلك الموقف أن يبحث عن سلطة يلقبها أو يسلطها على ضعيف أمامه أخطأ بعد أن اضطرته حاجة مادية إلى الركوب في الحافلة بطريقة أو بأخرى لكن هذا الأول يتسامح مع غروره ليترك الراكب بدون خطية مالية بعد توعده بالعقاب في المرة الثانية.

وفي زاوية من الحافلة تجد حديثا بين فتيات قد سقطت عنهن ملامح الحياء ولم يظهر عندهن غير الأدب المتصنع، فتسأل واحدة منهن الأخرى عن صديقها القديم فتجيبها بأنها تركته منذ أسبوع ولا تنوي العودة إليه خاصة وأنه رجل عديم الإحساس لم يقدم لها هدية عيد ميلادها رغم أنها أخبرته قبل يومين من الموعد فاعتبرته غير أهل لها، وعلى كل لها الآن خطيب جديد تتوقع معه أملا محققا وهو صاحب تجارة مربحة.

وفي ناحية أخرى قد وقفت فتاة متكئة وممسكة بعمود الحافلة بيدها اليمنى وكانت اليد اليسرى ممسكة هاتفها الجوال الذي خفف عنها وطأة الضجيج من حولها.  وفي مقعد من المقاعد القريبة منها تجد شيخا جالسا ينظر نظرة متألمة متألمة بعيدا بفكره وقريبا في إطار الحافلة يبدو الوقار واضحا من خلال لحيته البيضاء المتدلّية بضخامة شعره...

حياة بأكملها تدخل معها الحافلة في مجتمع ضخم رغم قلة عدد الأشخاص، إلا أنها حياة لا تعنيها فقد وجدت لها حياة أخرى بالنظر خارج النافذة، تعود من جديد في تأمل صامت بينها وبين قلبها الذي يعاود سرده المتمعن في تفاصيل حبيبها الذي قرر الابتعاد إلى مدينة أخرى تبعد بعض الكيلومترات فقط جعل منها مليارات الكيلومترات....